من العمامة إلى الطربوش

فصول مختارة من مذكرات طه حسين

صدوق نور الدين

كتاب المجلة العربية
267

من العمامة إلى الطربوش

فصول مختارة من مذكرات طه حسين

اختارها وقدم لها

صدوق نور الدين

رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

الرياض. طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين). شارع المنفلوطي
هاتف: 4777943. 4767345 فاكس: 4766464
ص. ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com

ⓒ نور الدين، صدوق
من العمامة إلى الطربوش: فصول مختارة من مذكرات طه حسين. / صدوق نور الدين .- الرياض، 1440هـ
126ص؛ 14×21سم.- (كتاب المجلة العربية؛ 267)
ردمك: 978-603-8204-65-8
1 - حسين، طه، ت 1393 هـ - مذكرات أ.العنوان ب.السلسلة

ديوي 928.162 1440 / 682

رقم الإيداع: 1440 / 682
ردمك: 978-603-8204-65-8

المحتويات

مقدمة: هذه الذكريات 7
الفصل الأول: بين العمامة والطربوش 15
الفصل الثاني: السقوط في امتحان العالمية 21
الفصل الثالث: طه حسين: بدايات الكاتب 27
الفصل الرابع: بين الشاعر، المعلم والمحب 33
الفصل الخامس: محنة الكفيف 39
الفصل السادس: درس الفرنسية 45
الفصل السابع: الفلسفة أم التاريخ؟ 51
الفصل الثامن: في انتظار السفر إلى باريس 57
الفصل التاسع: الحياة الفرنسية بين التحصيل والمتعة 65
الفصل العاشر: في الحي اللاتيني 71
الفصل الحادي عشر: نداء الحب 77
الفصل الثاني عشر: الخروج من العزلة 85
الفصل الثالث عشر: الحب أولاً.. 93
الفصل الرابع عشر: بين خوف الطالب وفرح الأب 99
الفصل الخامس عشر: العودة إلى مصر 107
قائمة كتاب المجلة العربية 113

مقدمة

هذه المذكرات

(1)

لم يتحقق تداول (مذكرات طه حسين) بشكل موسع، إذ العديد من المهتمين بالشأن الأدبي يدرك تمام الإدراك بأن عميد الأدب العربي يمتلك مذكرات نشرت بشكل مستقل بداية، على غرار التحقيقات الأدبية في الجنس ذاته، والمتمثلة فيما كتبه (محمد حسين هيكل)، (ثروت عكاشة) إلا أن المفكرين الذين أولوا اهتماماً بمسار الفكر العربي وتحولاته، استحضروا -وبقوة- هذه المذكرات من منطلق كونها التجسيد الدقيق لشخصية المثقف العربي، وللأثر البارز الذي خلفه الغرب عليه. يقول (جورج قرم) في كتابه (الفكر والسياسة في العالم العربي) (2018):

(في مذكراته، يصف طه حسين تصاعد ثورته ضد الأزهر، وعجبه حينما التحق بجامعة القاهرة، واكتشف بفضل طرائق التعليم الثراء الفكري للعالم الجديد الذي فتح له بذلك أبوابه).[1]

(2)

أدب المذكرات: بين التوثيق وكفاءة الكتابة:

يورد (جورج ماي) في كتابه (السيرة الذاتية)، فصلاً عن المذكرات من منطلق كونها تعد نوعاً من أنواع السيرة الذاتية، إلى اليوميات والرسائل. لذلك آثر أكثر من اسم علم اعتباري تدوين مذكرات أدبية أو سياسية في مرحلة جد دقيقة من الحياة، وأقصد الزمن المتأخر من العمر، بغاية

(1) د. جورج قرم: (الفكر والسياسة في العالم العربي). دار الفارابي. بيروت. 2018. ص181.

إضـاءة وقائع وأحداث وقضايا قد تكـون خلقت إشكالات من حيث اختلاف وجهات النظر، كما التأويلات التي تطول المعنى.

والواقـع أن كتابة المذكرات عن مرحلـة، إن لم تكن مراحل تقتضي المعايشة الحياتية وتشكيل تصور جامع عن زمنها بالضبط. بمعنى آخر أن المذكرات نتاج وقائع انتهت في الماضي وتستعاد في الحاضر بالاعتماد على الذاكرة، ما لم يكـن كاتبها يعمد في الزمن ذاته إلى تدوين تلك الوقائع مخافة خيانتها، وإن كان الخيـال الفاعل بالقراءة والكتابـة يظل ممتلكاً لكفاءة الاستحضار واقتـدار الكتابـة. والأصل أن التثبيت الصـادق أو خيانة الذاكرة، لا يقصي مبـدأ الاختـلاف وتعددية التأويـل. ذلك أن مـا يتحكم في صـوغ المذكرات مرجعيـات الانتماء، نوعية المقـروء والتوجه الأدبي والسياسـي. إذ إن رؤية كاتـب المذكرات إلى حـدث أو واقعة يختلف إذا ما قيـس بمرجعية مغايرة. على أن الاحتكام في الجوهر يعود للتلقي الموضوعي لفيض التصورات، حيث البحـث عن نقـاط التلاقي والاختـلاف، النافذة الأساس للحكـم والتقييم النهائـي. وبذلك فإن توافر منجـز كمي من الآراء والتصورات، يمثل قاعدة توسيـع للحدث أو الواقعة المتناولة. على أن الإشكال الحقيقي يكمن في حالة انتفاء هذا الفيض وسيـادة الرأي الواحد. هذه السيادة توهم بأن المدون أو المكتـوب وحده الكائن والممكـن. وفي حالة كهذه، فإنه (قـد) يسقط ضحية الوهـم، وبالضبـط في غياب الوعـي الثقـافي الناضج والمؤسـس على طرح الأسئلة قبل اعتماد الإجابات الجاهزة. بيد أن من العوامل الأساس الكامنة خلف كتابة وتدوين المذكرات نجد:

1 - العامـل الموضوعـي: ويتمثل في رغبة توثيق أحـداث مرحلة عيشت، من وجهة نظر ذاتية شخصية، وكأن الأمر يتعلق بحقيقة مثالية يجدر اعتمادها والدفاع عنها. لذلك فكاتب المذكرات يتلقى الأحداث وينقلها في صورة يرى

أنها موضوعية، في حين يتلقاها غيره بما هي وقائع تحتاج دقة التصحيح.

2 - العامل الأدبي: وتجسده كفاءة واقتدار مؤلف المذكرات على الكتابة والصوغ وفي حال انتفاء هذا العامل، فمهمة التدوين توكل لطرف متمكن شريطة ألا يتدخل في الوقائع والأحداث مادامت لا تخصه ولم يعشها.

3 - العامل النفسي: ويتجسد في لحظة صدور وإعلان المذكرات عن صورتها كمنجز، حيث يتكسر الخوف وتقوى جرأة الكاتب في وعلى الدفاع عن منجزه متمثلاً في وقائع وحقائق يراها في موضوعيتها.

يتضح من هذه العوامل بأن للمذكرات اشتراطاتها متمثلة في الحدث، الإنجاز وإثبات الذات. فكاتب المذكرات يعتمد أساساً ضمير المتكلم وسيلة للصوغ والتعبير وهو الميثاق المتوافق عليه في مرجعية كتابة السيرة الذاتية، إذا ما ألمحنا لكونه من خلال اعتماده يسهم في كتابة تاريخ ذاته في مساراتها، تحولاتها ومعايشتها للقضايا والأحداث. إنه السارد والشخصية المطابقة للسارد. بيد أن الإشكال الذي يجدر تمثله، يرتبط بالاستحضار، بمعنى آخر أن للذاكرة دورها في عملية التثبيت، مادامت الكتابة تتحقق عن زمن انتهى. من ثم يمكن تقسيم المذكرات من حيث زمنية مادتها إلى:

أ. مذكرات الماضي البعيد: ويتم اللجوء إلى تقسيمها وحدات تعكس في العمق حضور فعل التخييل كتمثل، ترتيب، حذف وإقصاء. وثم تبرز خيانة الذاكرة.

ب. مذكرات الماضي المتوسط والقريب: وهي مذكرات قل أن قسمت وحدات مادامت مادتها تستحضر بقوة.

ويمكن القول إن النوع الأول يسهم في إنجازه الأدباء والساسة، ومن يمتلك اسماً اعتبارياً يتميز بفاعلية حضوره وبلاغة أثره. في حين يتفرد الساسة

بالثـاني إذ الملاحظ -وعلى مستوى الغرب- كون السياسي وبمجرد مغادرته كرسـي الرئاسة يدون مذكراته ليفسـر ويضيء واقع قرارات قاسية اتخذت بعيـداً عن مراعـاة الشرط الحياتـي والإنساني. علـى أن ارتباط المذكرات بالتخييـل، يطرح أكـثر من سؤال. فالمذكرات في العمـق اعترافات مطبوعة بالصدق والموضوعية، مما يقصي عن محتواها الشك.

إلا أن كاتـب المذكرات في صياغته للأحداث والوقائع، يمارس سلطة التأويل على هذه الأحداث والوقائع، وبخاصة أنه يفهمها في حدود مرجعيته وانتمائه كما سلف.. والأصل أن المرجعية والانتماء يتم تلقيهما التلقي المطبوع بالشك وانتفـاء الموضوعية. ولذلك يبـادر إلى اتخاذ مواقف مـن مذكرات بعينها، وبالـذات ممن ينتمـون إلى دائرة السلطـة أو (المخزن)، وهـذا يحدث إذا ثبـت فعـل الكتابة. الفعـل الذي يفرض رسـم صورة ذهنيـة للمنجز، حيث يتخيل كاتب المذكرات هيئة مذكراته، مثلما ينتقي الأحداث والوقائع الممكن تدوينهـا وكتابتها. وثم يرى كاتـب المذكرات حدثاً قابـلاً للتدوين والكتابة، في مقابل آخر يتحقق إقصاؤه وهو ما يثير اختلافاً في سياق التلقي المغاير.

3 - نشـر (طـه حسـين) الجـزء الأول مـن سيرتـه الذاتيـة (الأيـام) في (1929). وكان لبلاغـة الحظوة التي أصابها أثره في توالي صدور طبعاتها، إذ ظهـرت الطبعة الرابعة حينها في (1958) عـن (دار المعارف/ مصر). إلا أن البلاغـة لم تنحصر في هذا المستوى، وإنما قادت عميد الأدب العربي إلى إصدار الجزء الثاني من هذه السيرة، وبالاسم ذاته في(1939). ويمكن القول إن طبعات (الأيام) نيفت على ما يجاوز السبعين.

بيـد أن الناظـم الرباط بين الجزأيـن، تدوين سيرة الـذات من خلال أهم وأبـرز محطاتها، إلى قدرة الشخصية وكفاءتها في وعلى مجابهة التحديات التـي مثلـت عراقيل ومعاناة تحقـق كسرهـا والتغلب عليها، علمـاً بوضعية الشخصية التي لم يمثل لها العمى إلا قوة وإصراراً.

تقول الباحثة التونسية (د. جليلة الطريطر):

(.. هكذا صح الرأي عندنا من خلال هذه الأحاديث أن (الأيام) في جزأيه الأول والثاني خاصة، كان تعبيراً عن أزمة وجودية خانقة، اهتزت لها اهتزازاً عنيفاً شخصية طه حسين، فلم يجد الرجل بداً ولا محيداً من التنفيس عن كربه إلا بواسطة الكتابة عن حياته).[1]

4 - على أن (مذكرات طه حسين)، نشرت بداية في (دار المعارف / مصر/ 1962)، مثلما صدرت طبعتها الثانية عن (دار الآداب / بيروت/ 1967). وكتب وقتها على غلاف الإصدار ما يلي:

(.. لاشك في أن (مذكرات طه حسين) ستكون حدثاً أدبياً هاماً في تاريخ الأدب العربي الحديث.

إن الأديب العربي يعود بهذه المذكرات إلى قرائه الكثيرين في الوطن العربي فيروي مرحلة هامة من حياته مليئة بالأحداث، منذ دخوله الأزهر وسفره إلى فرنسا حتى خوضه معترك الحياة السياسية في مصر).

فهذه الكلمة المكثفة الدقيقة، تضع النص في سياق تلقيه المفترض. ذلك أن ما سرد سابقاً من أحداث في (الأيام) يعضده ويوازيه المعنى المعبر عنه في (المذكرات). فـ(طه حسين) يؤسس لإبداعه انطلاقاً من وعي نوعية وقيمة المكتوب. فـ(المذكرات) استكمال لما ورد سابقاً في (الأيام). وهذا التوجه نحاه (محمد حسين هيكل)، علماً بأن كليهما عاش في الغرب (فرنسا تحديداً)، وعاين أشكال الكتابة الذاتية وتحولاتها: السيرة، الاعترافات، اليوميات، أدب الرسائل والمذكرات.

---

(1) : د. جليلة الطريطر: (مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث). مركز النشر الجامعي/ مؤسسة سعيدان للنشر تونس. 2004. ص349.

بيد أنه وإذا كان الجزء الثاني من (الأيام) ظهر في (1939)، فإن المذكرات لم تر النور -كما سلف- سوى في (1962). بمعنى آخر، أن ثمة فرقاً بين ظهور السيرة الذاتية وزمن استكمالها في صيغة (مذكرات). فعميد الأدب العربي (طه حسين) كتب في الجنسين لكون التقارب وارد، وعلماً بأن الكيفية وليس النوعية التي خضعت لها الكتابة، وبقدر ما تسهم في إنتاج المعنى ذاته، تتباين على مستوى الصيغة. فـ(الأيام) بجزأيها صيغت سردياً وفق استرسال مكثف، روعي فيه ترقيم الفصول، بينما (المذكرات) خضعت لتقسيم على نمط عناوين تختزل المعاني المتضمنة فيها. على أن من الأخطاء الأدبية التي اقترفت، إلحاق هذه (المذكرات) كجزء ثالث بالجزأين السابقين، فيما الخصوصية تتمثل في التحديد المنصوص عليه من طرف المؤلف (مذكرات)، وهو ما دعا إلى إيلائها الأهمية وانتخاب مقتطفات دالة منها.

5 - تتبنى هذه المذكرات على رسم صورة عن شخصية (طه حسين) في أدق لحظاتها الحياتية. فمن التكوين إلى الكتابة، التعليم والأستاذية في الجامعة فالوزارة، مروراً بـ(طه) المغني، العاشق والشاعر.

يشكل القارئ معرفة واستكمالاً لما تدوول وما يعود إدراكه - أساساً - لهذه المذكرات. إلا أن الحديث عن الشخصية لا يمكن أن يتحقق في غياب ربطها وبالفضاء متمثلاً أولاً في مصر من خلال الأزهر والجامعة، وفرنسا التي جسدت نقلة وتحولاً على امتداد حياة الشخصية: (الصبي، الفتى، صاحبنا). هذا التعدد المرآوي الذي يشعر المتلقي وكأن السارد يخاطب طرفاً ثانياً في النص، فيما هو يخاطب ذاته ويحاورها وفق لغة سردية بليغة المعنى والمبنى، وقد يكون للعمى أثره في هذا النزوع السردي.

6 - إنني وأنا أقدم هذه المنتخبات، أقصد إلى:

1 – التعريف بأدب المذكرات كجنس أدبي قائم الذات في الثقافة العربية.

2 – الإلمام بجوانب من حياة العميد قل أن تحقق الحديث عنها.

3 – تقديم نصوص نثرية صيغت وفق لغة عربية تجلو بلاغة هذه اللغة، ومدى قوتها في / وعلى الإيصال والتأثير، مثلما تذكر بأمراء البيان العربي الحديث.

الفصل الأول

بين العمامة والطربوش

.. كان صاحبنـا الفتى قد أنفق أربعة أعـوام في الأزهر، وكان يعدها أربعين عاماً، لأنها قد طالت عليه من جميع أقطاره كأنها الليل المظلم، قد تراكمت فيه السحب القاتمة الثقال، فلم تدع للنور إليه منفذاً. ولم يكن الفتى يضيق بالفقـر، ولا يقصر يده عما كان يريد، فقـد كان ذلك شيئاً مألوفاً بالقياس إلى طلاب العلم في الأزهر الشريف.

وكان الفتـى يرى من حولـه عشرات ومئات يشقون كمـا يشقى، ويلقون مثل مـا يلقى، وتقصر أيديهم عن أقصر مـا كانوا يحبون، قد اطمأنوا إلى ذلك وألفتـه نفوسهم واستيقنوا أن الثراء والسعـة وخفض العيش تعوق عن طلب العلـم، وأن الفقر شرط للجد والكد والاجتهاد والتحصيل، وأن غنى القلوب والنفوس بالعلم خير وأجدى من امتلاء الجيوب والأيدي بالمال.

وإنمـا كان يضيق أشد الضيق بهذا السأم الذي مـلأ عليه حياته كلها وأخذ عليـه نفسه من جميـع جوانبها. حياة مطردة متشابهـة لا يجد فيها جديداً منذ يبدأ العام الدراسي إلى أن ينقضي:

درس التوحيد بعد أن تصلى الفجر، ودرس في النحو بعد أن يترفع الضحى، وبعـد أن يصيب الفتى شيئاً من طعـام غليظ، ودرس في النحو أيضاً بعد أن تصلـى الظهـر، ثم فراغ فارغ كثيف بعد ذلك يصيـب الفتى شيئاً من طعام غليـظ مرة أخرى، حتـى إذا صليت المغرب راح إلى درس المنطق يسمعه من هـذا الشيخ أو ذاك، وهو في كل هذه الدروس يسمع كلاماً معاداً وأحاديث لا تمسـ قلبه ولا ذوقه، ولا تغدو عقلـه، ولا تضيف إلى علمه علماً جديداً. فقد تربـت في نفسه تلك الملكة كما كان الأزهريون يقولون، وأصبح قادراً على أن يفهم ما يكرره الشيوخ من غير طائل.

وكان الفتـى يفكر في أن أمامه ثمانية أعوام أخرى سيعدها ثمانين عاماً كما

عـد الأعوام الأربعة التي سبقتها. وفي أن عليـه أن يختلف إلى هذه الدروس كمـا تعود أن يفعل وأن يعيد ويبدأ في هذا الكلام الذي لا يسيغه ولا يجد فيه غناء.

وفي أثناء هذا كله ذكر اسم الجامعة، فوقع من نفسه موقع الغرابة الغريبة، لأنه لم يسمع هذه الكلمة من قبل، ولم يعرف إلا الجامع الذي كان ينفق فيه بياض النهار وشطراً من سواد الليل. فما عسى أن تكون الجامعة وما عسى أن يكـون الفرق بينها وبين جامعه ذاك أو جوامعه التي كان يختلف فيها إلى شيوخـه ينأون بدروسهم وطلابهم عن الأزهر ويؤثرون أنفسهم بمسجد من هـذه المساجـد الكثيرة في الحي. وكان انتقال الفتى بـين هذه المساجد يرفه عليه بعض الترفيه.

على أنه لم يلبث أن فهم كلمة الجامعة هذه فهماً مقارباً، وعرف أنها مدرسة لا كالمدارس وأحس أن مزيتها الكبرى عنده أن الدروس التي ستلقى فيها لـن تشبه دروس الأزهر مـن قريب أو بعيد، وأن الطـلاب الذين سيختلفون إليهـا لن يكونوا من المعممين وحدهم، بـل سيكون فيهم المطربشون، وعسى أن يكونـوا أكثر عـدداً من أصحاب العمائـم، لأن هؤلاء لـن يعدلوا بعلمهم الأزهـري علماً آخر، ولن يشغلوا أنفسهم بهذه القشور التي يضيع فيها أبناء المدارس، كما كانوا يسمونهم في تلك الأيام، أوقاتهم. وكان نبأ الجامعة هذا إيذانـاً للفتى بأن غمته تلـك توشك أن تكشف، وبأن غمرتـه تلك توشك أن تنجلـي. فقـد يتاح له أن يسمع غير ما تعود أن يبدأ فيه ويعيد من علمه ذاك الممل. وقد أقام الفتى مع ذلك على شك ممض يؤذي نفسه أشد الإيذاء ولا يستطيع أن يصرح به لأحد من أصدقائه أو ذوي خاصته:

أتقبلـه هذه الجامعة بين طلابها حين يتم إنشاؤهـا أم ترده إلى الأزهر رداً غير جميل لأنه مكفوف، وليس غير الأزهر سبيلاً إلى العلن للمكفوفين؟ كان

هـذا الشك المؤلم يـؤرق ليله ويقض مضجعه، ولم يكـن يناجي به إلا نفسه. كان يستحي أن يتحدث عن آفته تلك إلى الناس، وكان يؤذيه أشد الإيذاء أن يتحدث الناس عنهـا، وما أكثر ما كانوا يفعلون.. ولم ينفق الفتى ثلاثة أيام منذ افتتاح الجامعة حتى تغيرت حياته تغيراً فجائياً كاملاً.

الفصل الثاني

السقوط في امتحان العالمية

لم يكد صاحبنا يتصل بالجامعة حتى رثت الأسباب بينه وبين الأزهر، فأصبح لا يمنحه من الوقت إلا أقصره، ولا يعطيه من الجهد إلا أيسره. ولم تكن الجامعة وحدها هي التي صرفته عن الأزهر وإنما صرفه عنه قبل ذلك زهده فيه، وضيقه به، وملله من أحاديثه المعادة. وقد انصرف صاحباه عن الأزهر أيضاً: ذهب أحدهما إلى كلية الفرير يعلم فيها اللغة العربية، وذهب الآخر إلى المطبعة الأميرية يصحح فيها ما كانت تطبع من الكتب، فلم يبق لصاحبنا في الأزهر أرب، وقد ضاق حتى بأحب ما كان في الأزهر إلى نفسه، وهو المدرس الشيخ سيد المرصفي، فأعرض عنه كل الإعراض، لا زاهداً فيه، ولا نفوراً منه، ولكن سخطاً على الشيخ رحمه الله لأنه أذعن لشيخ الأزهر وأسرف في الإذعان، وأعرض عن معابثة تلاميذه، وتوهم أن الجواسيس قد أرصدت له، وبثت عليه، فتحفظ في كل ما كان يقول، وكره أن يسمع من تلاميذه ما كانوا يأخذون فيه إذا جلسوا إليه من عبث الشيوخ وخوض في حديثهم. وقال للفتى ذات يوم حين أخذ في بعض ذلك: (لا.لا. لا. دعنا نأكل العيش...) فتركه الفتى يأكل العيش. وأصبح لا يلقاه إلا يوم الجمعة يسعى إليه في بيته، فينفق معه الساعات حلوة حرة يقول فيها ما يشاء، ويسمع ما يشاء الشيخ أن يقول وما أكثر ما كان الشيخ يقول.

ومنذ ذلك الوقت أيضاً سلك الفتى في حياته طريقاً لم يكن يقدر أن سيتاح له سلوكها، فاتصل بالجريدة ومديرها الأستاذ لطفي السيد، وقويت الصلة بينهما حتى كان يلقاه مرات في كل أسبوع، وكان يلقى أحاديث الأستاذ وزائريه تفتح للفتى أبواباً من العلم والمعرفة لم تكن تخطر له على بال من قبل، ولم يكن يقدر وجودها فضلاً عن اتصاله بها من قريب أو بعيد.

ثم مضت الأيام وتتابعت فيها الأحداث، حتى إذا دار العام رأى الفتى نفسه يتهيأ للامتحان في الأزهر لينال درجة العالمية. وقد تلقى الفتى ما

كان يسمى حينئذ بالتعيين، وهو الدروس التي يجب أن يعدها أمام لجنة الامتحان، ويثبت لمناقشة الممتحنين فيها.

فاستعد الفتى وأحسن الاستعداد، وحفظ فأحسن الحفظ، حتى إذا لم يبق بينه وبين شهود الامتحان إلا سواد الليل، أقبل عليه شيخه المرصفي. رحمه الله. فأنبأه هذا النبأ العجيب الذي لم يحمله إليه في ضوء النهار، وإنما حمله إليه في ظلمة الليل، بعد أن صليت العشاء.

قال الشيخ:

- إذا أصبحت يا بني فاستقل من الامتحان ولا تحضره من عامك هذا، فإن القوم يأتمرون بك ليسقطوك.

قال الفتى:

- وما ذاك؟

قال الشيخ:

- تعلم أني عضو في لجنة الامتحان التي ستحضر أمامها غداً، والتي يرأسها دسوقي العربي. فقد دعي رئيس اللجنة إلى الشيخ الأكبر وأمر بإسقاطك مهما تكن الظروف.

قال الفتى:

- ولكني سأحضر أمام لجنة أخرى يرأسها الشيخ عبد الحكيم عطا.

قال الشيخ:

- فإن هذه اللجنة لن تجتمع لأن رئيسها أبى أن يسمع للشيخ الأكبر حين أمره بإسقاطك. فلما ألح الشيخ الأكبر عليه ألح هو في الإباء، فلما خيره الشيخ الأكبر بين إسقاطك وبين ألا تجتمع لجنته آثر ألا تجتمع اللجنة، وقال إنما هو غداء وثلاثون قرشاً.

وأبـى الفتى أن يستقيل على رغم إلحاح الشيخ المرصفي عليه في ذلك، ونام ليلتـه هادئاً موفـوراً، واستقبـل صباحه راضيـاً مسروراً، وغـدا على لجنة الامتحـان، وكانت مجتمعة في مكان في الدراسة لا يعرف الفتى أقائم هو أم درس فيما درس من المنازل والدور.

غدا على لجنة الامتحان فألقى التحية، وجلس، وكان أعضاء اللجنة يشربون الشاي.

قال الرئيس للفتى:

- هل أفطرت؟

قال الفتى:

- نعم.

قال الرئيس:

- فأتمم هذا الكوب من الشاي الذي شربت نصفه لتحصل لك البركة.

وأخـذ الفتـى من الشيـخ كوبه مبتسماً، وشـرب ما فيه مكرهـاً. ثم أخذ في الدرس الأول فأنفـق فيـه ساعتين ونصف ساعـة، ولقي فيه مـن المناقشة أشدهـا، ومن الجدال أعنفه. وفي أثناء ذلك دخل الشيخ الأكبر، فلم يسلم، وإنما قال:

- حرام عليك يا شيخ دسوقي حرام عليك، أرفق به. أرفق به.

ثم انصرف.

ولم يرفـق الشيخ دسوق بالفتـى، وإنما أضاف شدة على شـدة، وعنفاً على عنف، وانقضى الدرس الأول. وقيل للفتى اذهب فاسترح. وخرج الفتى فإذا كرسي وضع إلى جانب الباب، وجلس عليه الشيخ الأكبر كأنه ينتظر شيئاً.

وقال له:

- خذه يا شيخ إبراهيم فاسقه فنجاناً من القهوة.

وفي انتظار هذا الفنجان أقبل من حمل المحفظة إلى الفتى إيذاناً بأنه قد سقط، وبأن اللجنة لا تريد أن يتم ما بقي له من الدروس.

الفصل الثالث

طه حسين: بدايات الكاتب

.. وعاش الفتى وصاحباه أعواماً غرباء عن الأزهر قريبين منه، يلمون به بين حين وحين، إن أتيح لهم ذلك. فيجلسون في مجلسهم ذاك بين الإدارة والرواق العباسي، ويتندرون كما أحبوا أن يفعلوا دائماً بالمقبلين على الأزهر والخارجين منه، وبالشيوخ والطلاب. وربما قرأ عليهم أحدهم الزيات في هذا الكتاب أو ذاك من كتب الأدب القديمة والجديدة. وربما قرأ عليهم هذه الصحيفة أو تلك من صحف المساء، فأخذوا في حديث السياسة وخطوبها، أو في ذكر كتاب تلك الأيام وشعرائها، يلمون بهذا كله ولا يمعنون فيه. فقد كانوا في تلك الساعات لا يكرهون شيئاً كما كانوا يكرهون أخذ الأمور مأخذ الجد.

على أن صاحبنا الفتى ما لبث أن شغل أو كاد يشغل صاحبيه بياض النهار. فقد كان يخلص لحياته الجديدة التي أخذ يحياها منذ قرأ لنفسه أول مقال نشرته له الصحف. أرضاه ذلك عن نفسه وأطمعه في المزيد منه، فجعل يكتب في الجريدة رغبة في الكتابة أحياناً، وتقرباً بها إلى مدير الجريدة أخرى. وجعل مدير الجريدة يرضى عن فضوله ويغريه بالكتابة ويحثه حثاً ويعلمه القصد في اللفظ والأناة في التفكير.

وما هي إلا أن جعل يقربه إليه ويدعوه إلى زيارته حتى أصبح الفتى ملازماً لمكتب المدير، يلم به في أكثر أيام الأسبوع حين يرتفع الضحى فلا يحجب عنه، وإنما يلقاه الأستاذ المدير هاشاً له، مرحباً به آخذاً في التحدث إليه والاستماع منه، فاتحاً له أبواباً من التفكير، لم تكن تخطر له على بال، خائضاً معه في حديث الأدب القديم، راوياً له من الشعر ما كان يحفظ وما لم يكن سمعه من قبل، حتى استأثر بقلب الفتى وعقله وحتى أصبح للفتى أستاذان يختصهما بحبه وإعجابه، أحدهما يذكره بأئمة البصرة والكوفة وهو الشيخ سيد المرصفي، والآخر يذكره بفلاسفة اليونان الذين سمع

أسماءهم في الأزهر وجعل يدرس أطرافاً من فلسفتهم في الجامعة، وهو لطفي السيد.

وكان الفتى يختلف مع ذلك إلى الشيخ عبدالعزيز جاويش رحمه الله فيسمع له صوتاً عذباً وحديثاً ليناً رقيقاً، ويرى من وراء هذا اللين وتلك العذوبة عنفاً أي عنف إن ذكرت السياسة أو ذكر الأزهر وشيوخه أو ذكر بعض الكتاب الظاهرين الذين لا يكتبون في صحف الحزب الوطني. وكان يحبب العنف إلى الفتى ويرغبه فيه ويزين في قلبه الجهر بخصومة الشيوخ والنعي عليهم في غير تحفظ واحتياط. فهو كان يرى أنهم آفة هذا الوطن يحولون بينه وبين التقدم بما كانوا يلجون فيه من المحافظة ويعينون عليه الظالمين بممالأتهم للخديوي ومصانعتهم للإنجليز.

قرأ الفتى الفصول الأولى من نظرات المنفلوطي راضياً عنها، معجباً بها، ثم لم يلبث أن سئمها وانصرف عنها. ولكنه لم يكد يراها مجموعة في كتاب حتى ضاق بها أشد الضيق، وكتب يعيبها ويغض منها. وفرح الشيخ عبدالعزيز جاويش بما كتب الفتى أشد الفرح واستزاده من الكتابة وحرضه عليها وألح في التحريض، حتى ألقى في روعه ألا يدع فصلاً من فصول المنفلوطي إلا اختصه بفصل من النقد. وكان الفتى قديم المذهب في الأدب لا ينظر منه إلا بمكانه من معجمات اللغة. فكان عيب المنفلوطي عنده أنه يخطئ في اللغة ويضع الألفاظ في غير مواضعها ويصطنع ألفاظاً لم تثبت في (لسان العرب) ولا في (القاموس المحيط).

وما أسرع ما انزلق الفتى من هذا النقد السخيف إلى طول اللسان وشيء من الشتم لم تكن بينه وبين النقد صلة. ولم ينس الفتى مقالاً دفعه ذات مساء إلى الشيخ عبدالعزيز جاويش، فلم يكد يقرأ أوله حتى طرب له وأبى إلا أن يقرأه بصوته العذب على من يحضر مجلسه ذاك. وابتهج الفتى حين

سمــع الثناء وأحس الإعجاب واستيقن أنــه أصبح كاتباً ممتازاً. ثم لم يذكر بعد ذلك أول هذا المقال حتى طأطأ من رأسه ومن نفسه وسأل الله أن يتيح لــه التكفير عن ذنبه ذاك العظيــم. وكان أول المقال: (عم صباحاً أو مساء، واشــرب هــواء أو مــاء، واستأجر من تشــاء لما تشاء فقد وضــح الحق وبرح الخفاء.)...

أصبح الفتى كاتباً بفضل هذين الرجلين: لطفي السيد وعبدالعزيز جاويش. وأصبــح كاتباً لشيء آخر: وهو أنه أثناء الأعوام العشرة الأولى من كتابته في الصحف لم يكتب إلا حباً للكتابة ورغبة فيها، لم يكسب بها درهماً ولا مليماً.

الفصل الرابع

بين الشاعر، المعلم والمحب

.. علـى أن فضـل الشيـخ عبدالعزيـز جاويش على الفتـى لم يقف عند هذا الحـد، وإنما تجاوزه فأمعن في تجاوزه، فهـو الذي عرف الفتى إلى جماهير النـاس ووقفه بين أيديهم ذات صباح منشداً للشعر، كما كان يفعل الشعراء المعروفون، وحافظ منهم خاصة، في بعض المناسبات العامة.

كان النـاس قد ألفوا الاحتفال برأس العام الهجري كلما انقضى عام هجري، وأقبل عام جديد. وكان الشيخ عبدالعزيز جاويش يحرص على أن يكون للحزب الوطني احتفاله بهذا اليوم، فأقام حفلة ذات عام في مدرسة مصطفى كامل، واحتشـد لهذا الحفل عدد ضخم من الناس شباباً وكهولاً وشيبة. وكان الفتى قد أنشأ فيما بينه وبين نفسه قصيدة يستقبل بها عيد الهجرة، وأنشدها أمام الشيخ عبدالعزيز جاويش، فرضي عنها وحثه على أن يقول أمثالها.

فلمـا كان هذا الحفل شهـده الفتى مع الشاهدين، ولكنه لم يكد يتخذ مكانه بين الناس، حتى أقبل من أخذ بيده وأجلسه على المنصة. ولم يقدر الفتى في نفسه إلا أن الشيخ عبدالعزيز جاويش قد أراد أن يرفق به ويتلطف له ويقربه مـن مجلسه، فرضي عن ذلك كل الرضى، وعـده فضلاً من الشيخ عظيماً. وألقيـت الخطـب وصفق المصفقون، ولم يرع الفتى إلـى أن سمع اسمه يعلن إلـى الناس ورأى نفسه يدعى إلى إنشاد قصيدته العصماء. فلبث في مكانه جامـداً واجمـاً لا يـدري ماذا يصنع ولا يعـرف كيف يقـول، وأقبل من أخذ بيـده، وهم الفتى أن يمتنع حياء وخجلاً. ولكـن الذي أخذ بيده جذبه جذباً شديـداً وجعل الذين من حوله يدفعونه وينهضونـه حتى أنهضوه وجروه إلى المائدة. واستقبل الفتى بتصفيق شديد منحه قوة وجرأة فأنشد قصيدته في صوت ثابت ممتلئ، ولكنه لك يكن يستقر في موقفه، وإنما كان جسمه يرتعد ارتعاداً، واستقبلت قصيدته أحسن استقبال وأروعه حتى خيل إلى الفتى أنه قد أصبح حافظاً أو قريباً من حافظ.

ثم مرت الأعوام وتبعتها الأعـوام، واختلفت على الشيخ وعلى الفتى خطوب أي خطـوب، وتعاقبت أحداث في مصر أي أحداث. وجلس الفتى ذات مساء إلـى صديق له كريم، وقد جاوز الفتى سـن الشباب والكهولة، وأخذ في ذكر الصبـا وأيام الطلب، وأنسى الشيخ شبابه وصباه وشغل عن حياته الماضية، وأعرض عن الشعر كل الإعراض بعـد أن استبان له أنه لم يقل الشعر قط، وإنما قال سخفاً كثيراً.

... ثم لم يقف الشيخ عبدالعزيز جاويش بالفتى عند هذا الحد، ولكنه علمه الكتابـة في المجلات، فقد أنشأ مجلة (الهداية) وطلب إلى الفتى أن يشارك في تحريرهـا، ثم ترك له أو كاد يترك له الإشراف على هذا التحرير، وكان لـه الفضل فيما تعلـم الفتى من إعداد الصحف وتنسيـق ما ينشر فيها من فصـول. ولم تخـل (الهداية) من جـدال عنيف دفع إليه الفتـى دفعاً. وكان خصمـه الشيخ رشيد رضا، وقد أسرف الفتى على نفسه وعلى الشيخ رشيد في ذلك الجدال. وكتب أحاديث استحى منها فيما بعد حين ذكرت له، ولكن الشيـخ عبدالعزيـز جاويش كان عنها راضيـاً وبها كلفاً. وقـد أجاز نشرها وشجع الفتى على المضي فيها.

كان يمقت مـن الشيخ رشيد ممالأته للخديوي وانحرافه عن طريق الأستاذ الإمام. وما دفع إليه من إعجاب بنفسه واغترار بثناء الناس وإعجابهم به.

.. وأنشـأ الشيخ عبدالعزيز جاويش مدرسة ثانوية كما أنشأ مصطفى كامل مدرسـة، وكلـف الفتى أن يعلـم فيها الأدب على ألا ينتظـر على ذلك أجراً. فالمدرسـة عمـل وطني لا أجـر عليه لمن يشـارك فيه، ولم يكـن الشيخ يفيد مـن هذه المدرسـة شيئاً، وربما أنفـق عليها من رزقه وكلـف نفسه في سبيل ذلك شيئاً من الحرمان، وربما ألح على بعض الأغنياء وأوساط الناس حتى استكرههـم علـى أن يعينوه على نفقاتهـا بعض المال. وقد أقبـل الفتى على

تعليمه ذاك فرحاً به مبتهجاً له، يرى فيه شفاء لغيظه من الأزهر، ويرى فيه مع ذلك مشاركة في بعض الخير...

وكان الفتى قد لقي السيدات في بيئته الريفية، ولكنه لم يلق منهن القارئة الكاتبة البرزة التي تظهر في مجالس الرجال وتحاورهم، فتلج في المحاورة وتخاصمهم فتعنف في الخصام، قبل أن يلقى تلك الفتاة.

.. ففي مساء الثلاثاء رأى الفتى نفسه لأول مرة في حياته في صالون فتاة تستقبل الزائرين من الرجال، حفية بهم معاتبة لهم في رشاقة أي رشاقة، وفي ظرف أي ظرف، وفي حديث عذب يخلب القلوب ويستأثر بالألباب.

وطال المجلس وكثر الزائرون، ودارت أكواب الشاي والفتى في مكانه لا يكاد يحس من ذلك شيئاً، قد ملك الوهم والوجل عليه أمره كله. فهو لم يشهد مثل هذا المجلس قط. وليس له عهد بمثل ما يجري في مثل هذه المجالس من المراسم ولا بما يتبع فيها من التقاليد والعادات. فهو منكر لنفسه، منكر لمن حوله وما حوله، إلا شخصين اثنين هما الأستاذ لطفي السيد والآنسة مي.

وقد أخذ الزائرون في الانصراف، ورغب الفتى فيه ليخلص من حرجه، وأشفق منه حرصاً على صوت مي وحديثها، ولم يحاول أن ينصرف. فما كان له أن يحاول ذلك قبل أن يؤذنه به الأستاذ.

وقد انصرف الزائرون جميعاً وخلا للأستاذ وتلميذه وجه مي فخاضت مع الأستاذ في بعض الحديث وأثنت للفتى على رسالته في أبي العلاء، فأغرقت في الثناء، واستحى الفتى شيئاً ولم يحسن أن يشكر لها ثناءها. ولكن الأستاذ يطلب إلى الفتاة أن تقرأ عليه مقالها ذاك. فترددت الفتاة شيئاً ثم تقدمت بعد أن تعلن إلى الفتى أنها إنما تقرأ على الأستاذ هذا المقال لأنه هو الذي يعلمها العربية ويعلمها الكتابة.

قال الفتى في صوت مختنق ولفظ مجمجم:

- كما يعلمني أنا.

قالت مي:

- فنحن إذن زميلان.

وقرأت المقال وكان عنوانه (وكنت في ذلك المساء هلالاً).

وسحر الفتى ورضي الأستاذ وانصرفا بعد حين، وفي نفس الفتى من الصوت ومما قرأ شيء كثير.

الفصل الخامس

محنة الكفيف

.. أقبل الفتى ذات مساء بصحبة غلامه الأسود، فلما بلغ الغرفة أظهر بطاقته وقد كان بها ضنيناً وعليها حريصاً. وقيل له تستطيع أنت أن تدخل، فأما غلامك هذا فلا حق له في الدخول.

وأظهر الفتى شيئاً من ضيق، ولكن صاحب الباب لم يحفل بضيقه ولا بإنكاره ولا بتوسل من كان حوله من الطلاب ولا بحاجته إلى أن يصحبه الغلام حتى يجلسه في مكانه ثم يرجع أدراجه فينتظر من وراء الباب حتى ينقضي الدرس.

واضطر الفتى إلى أن يفزع إلى السكرتير العام أحمد زكي بك شاكياً، وصحبه بعض الطلاب الساخطين على جهل صاحب الباب وعنفه وغلظة ذوقه، وأدخل الفتى وأصحابه على السكرتير العام وقصوا عليه قصتهم، ولكنهم لم يجدوا عنده شيئاً وإنما قال لهم في هدوء:

- النظام هو النظام.

وهم بعض الطلاب أن يجادله في ذلك فقال متجهماً:

- وماذا نصنع وقد أراد الله لصاحبك ألا يشهد هذه المحاضرات؟

وانصرف أولئك النفر من الطلاب ساخطين على السكرتير العام سخطاً أشد وأعظم من سخطهم على صاحب الباب. وقالوا للفتى:

لا بأس عليك، سنصحبك نحن إلى مجلسك.

... وهو على ذلك لم ينم ليلته تلك وإنما أنفقها مسهداً محزوناً يذكر كيف لقي مثل هذه القسوة حين أراد أن ينتسب إلى الأزهر في آخر الصبا وأول الشباب، وحين تقدم لأداء الامتحان في حفظ القرآن. فقال له أحد ممتحنيه:

- اقرأ يا أعمى سورة الكهف!

وذكر بعد سنين قصته هذه في الجامعة وقصته تلك في الأزهر، حين دخل

غرفة الدرس لأول مرة في جامعة مونبليه فسمع الأستاذ يقول لصاحبه:

- أيكون زميلك مكفوفاً؟

قال الزميل:

- نعم.

قال الأستاذ:

- فإني أراه قد دخل الغرفة دون أن يرفع قلنسوته.

وكان الفتى حديث العهد بأوروبا فلم يعرف بعد أن الناس يرفعون قلانسهم حين يدخلون مكاناً مسقوفاً، وأنهم يحضرون الدروس حاسري الرؤوس.

وما كان ما أسرع ما كان الفتى ينسى هذه الكلمات المؤذية بعد أن يشتري هذا النسيان بليلة ينفقها مسهداً محزوناً. ثم يقبل بعد ذلك على ما لم يكن بد من الإقبال عليه من العلم في الأزهر وفي الجامعة المصرية وفي جامعات فرنسا.

وكان الفتى يرى حياته في الجامعة عيداً متصلاً، كما كان يراها غيره من المصريين، ولكنها كانت بالقياس إليه عيداً تختلف فيه ألوان اللذة والغبطة والرضى والأمل. كان تخرجه من بيئته تلك الضيقة المقلقة في الأزهر، وفي حوش عطا أو درب الجماميز إلى بيئة أخرى واسعة لا حد لسعتها، فهي كانت تتيح له أن يملأ عقله من العلم الطلق الذي لا يقيده تحرج الأساتذة الأزهريين فيما كانوا يلقون من الدروس، ولا يفسده الإسراف في الفنقلة والجدال حول هذا اللفظ أو ذاك، وإضاعة الوقت في الإعراب حين لا يكون بين الدرس وبين الإعراب صلة.

وكانت هذه البيئة تتيح له كذلك علماً يخلق نفسه خلقاً جديداً لا يتصل بالنحو ولا بالفقه ولا بالمنطق ولا بالتوحيد، وإنما يذهب به مذاهب مختلفة في الأدب وفي ألوان من التاريخ لم يكن يقدر أنه سيعرفها في يوم من الأيام.

ولم ينس الفتى يوماً خاصم فيه ابن خالته الذي كان طالباً في دار العلوم ولج بينهما الخصام.

فقال الدرعمي للأزهري:

- مـا أنـت والعلم، إنما أنت جاهـل لا تعرف إلا النحـو والفقه لم تسمع قط درساً في تاريخ الفراعنة! أسمعت قط رمسيس أو أخناتون؟!

وبهت الفتى حين سمع هذين الاسمين وحين سمع ذكر هذا النوع من التاريخ. واعتقد أن الله قد كتب عليه حياة ضائعة لا غناء فيها. ولكنه يرى نفسه ذات ليلـة في غرفة مـن غرفات الجامعة يسمـع الأستاذ أحمد كمـال رحمه الله يتحـدث عن الحضارة المصرية القديمة ويذكر رمسيس وأخناتون وغيرهما من الفراعنة، ويحاول أن يشرح للطلاب مذهبه في الصلة بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغات السامية ومنها اللغة العربية.

ويستدل على ذلك بألفاظ من اللغة المصرية القديمة يردها إلى العربية مرة وإلى العبرية مرة وإلى السريانية مرة أخرى. والفتى دهش ذاهل حين يسمع كل هـذا العلم، وهو أعظـم دهشة وذهولاً حين يلاحظ أنه يفهمه ويسيغه في غير مشقة ولا جهد.

وهـو يعود إلى بيتـه ذلك المساء وقد ملأه الكبر والغـرور، ولا يكاد يلقى ابن خالته حتى يرفع كتفيه ساخراً منه ومن دار علومه تلك التي كان يستعلي بها عليه. وهو يسأل ابن خالته أتتعلمون اللغات السامية في دار العلوم! فإذا أجابه بـأن هذه اللغات لا تدرس في المدرسـة أخذه التيه. وذكر العبرية والسريانية ثم ذكـر الهيروغليفية وحاول أن يشرح لزميله كيف كان المصريون القدماء يكتبون. وتنقلب الآية ويصبح المغلوب غالباً والغالب مغلوباً.

ويمضـي العام الأول من الحياة الجامعية عيداً كله لا يحس الفتى سأماً منه أو ضيقاً به، وإنما يحس الحزن الممض حين تبدو طلائع الصيف.

الفصل السادس

درس الفرنسية

كان أول عهد الفتى بدرس اللغة الفرنسية أن حدثه بعض صديقه من الأزهريين بأن مدرسة مسائية أنشئت في مكان قريب من الأزهر تدرس فيها هذه اللغة لمن يريد أن يتعلمها من المجاورين.

وكان للشيخ عبدالعزيز جاويش رحمه الله يد في إنشاء المدرسة لم يحققها الفتى تحقيقاً واضحاً، ولكنه ذهب إلى المدرسة فيمن ذهب إليها من الطلاب وسمع الدرس الأول من دروسها، ألقاه كهل مصري كان يحسن أن يلوي لسانه في النطق بالحروف، وكان الفتى يبهره هذا النطق. ولكنه لم يفهم من هذا الدرس شيئاً، فقد كان الأستاذ يرسم الحروف على اللوحة وينطق بها ويأخذ الطلاب بأن ينطقوا بهذه الحروف كما سمعوها منه، وبأن ينظروا إليها مرسومة وينقلوها فيما أمامهم من الأوراق. وظل الفتى واجماً لا يرى الحروف ولا يرسمها. ولم يسأله الأستاذ أن ينطق بها وإنما كان يسأل من عن يمينه ومن عن شماله ويمر به هو دون أن يلوي عليه.

وضاق الفتى بذلك أشد الضيق، ولكنه لم يستطع أن يقول شيئاً، ثم تفرق الطلاب وهم الفتى أن ينصرف. ولكن يداً توضع على كتفه وصوتاً يطلب منه الانتظار، وإذا هو الأستاذ قد استوقف الفتى، حتى إذا خلا إليه قال له:

- ليس لك أرب في حضور هذه الدروس، ولكني أرى فيك حرصاً على تعلم هذه اللغة وأحب أن أعينك على ما تريد، فالقني إن شئت في قهوة كوبري قصر النيل نتحدث في هذا الموضوع.

وضرب له موعداً لهذا اللقاء، ولم يكادا يلتقيان حتى تعارفا. وإذا بينهما صلة قديمة. فقد كان أبو هذا الأستاذ قاضياً شرعياً في المدينة التي نشأ فيها الفتى وعليه قرأ الفتى ألفية ابن مالك. كان يختلف إليه في المحكمة ضحى كل يوم، ويقرأ عليه باباً من أبواب الألفية. وقد اتصلت المودة بين الأستاذ

الكهـل وتلميذه الفتـى، ولكن دروس هذا الأستاذ لم تغن عـن التلميذ شيئاً. فقـد كان يحب كتاباً وشعراء من الفرنسيين، فـإذا خلا إلى الفتى قرأ عليه من آثار هـؤلاء الكتاب والشعراء وترجم له بعض ما يقرأ فيزيد شوق الفتى إلـى العلم بلغة هؤلاء الكتاب والشعراء لروعة ما كان ينقل إليه من آثارهم. وقـد سمع الفتى مـن أستاذه أسماء كانت تسحره وتبهـره وتملك عليه أمره كله. سمع اسم لامارتين والفريد دي موسيه والفريد فنيي وشاتوبريان فكان موقـع هذه الأسماء غريبـاً، وكان ما ينقل إليه من كلامهـم أشد غرابة من أسمائهم يبعد الفتى عـن الأدب العربي وعن الشعر القديم خاصة، ويدفعه إلى عالم آخر مجهول لا يحقق الفتى منه شيئاً ولكنه يهيم بالاضطراب فيه كل الهيـام. وقد اضطر آخر الأمر إلى أن يبحث عن معلم يلقنه أوليات هذه اللغة تلقيناً منظماً منتجاً، ومازال يبحث عنه حتى دل عليه.

فأقبـل علـى دروسـه كل يوم مـن الساعة الثانيـة إلى منتصـف الخامسة، واستبقى مع ذلك مودة أستاذه ذاك. فكان يلقى أستاذه النظامي كل يوم في موعـده المحدد فيتعلم منه الأوليات ويلقى أستـاذه الآخر مرتين في الأسبوع إذا أقبل الليل ليسمع منه نثراً وشعراً ينقل إليه بعض معانيهما.

وكان الأستاذ النظامي غريب الأطوار حقاً. كان شيخاً قد نيف على السبعين وقد حطمته السنون، وكان ألبانياً، وكان قذراً تنبو عنه العيون. وكان معدماً لا يجـد مـا يقوتـه، وكان يصيب غذاءه مـع الفتى كل يوم ثـم لا يأخذ أجراً لدروسـه. وكان سريـع تعب لا يـكاد يتحدث إلـى الفتى دقائـق حتى يدركه الإعيـاء فيغفي لحظة ثم يفيق ليأخذ فيما كان فيـه ثم يعود إلى الإغفاء ثم يعود بعد ذلك إلى الإفاقة.

وكذلك كان الفتى يخطـف دروسه اختطافاً بين يقظة الأستاذ ونومه، وربما أحسـن الأستـاذ شدة الحـر إذا أقبل الصيف وأراد أن يتـبرد فوقف الدرس

وذهب إلى الحمام فصب على نفسه من ماء الدش ما شاء الله أن يصب. ثم عاد إلى تلميذه وقد أحدث شيئاً من نشاط، ولكنه لا يكاد يمضي في درسه حتى تأخذه سنة، فيضطر التلميذ إلى الانتظار به حتى يفيق.

على أن هذا الأستاذ لم يلبث أن ضاق به أخو الفتى أشد الضيق. كان يأتي إذا دنت الساعة الثانية وينصرف إذا انتصفت الخامسة، ويترك في البيت من قذارته آثاراً غلاظاً، بعضها حي يؤذي وبعضها ميت يمض، حتى شكا الخادم وضاق أخو الفتى بما كان يسمع. وصرف الأستاذ صرفاً رقيقاً.

والتمس صاحبنا لنفسه أستاذاً آخر وجعل ينتقل بين معلم ومعلم ويجد في هذا التنقل مشقة أي مشقة، ومتاعاً أي متاع. تأتي المشقة من أجر الدروس التي لم يكن له بد من أن يؤديه إلى معلميه، ويأتي المتاع من اختلاف هؤلاء المعلمين، وتباين أطوارهم وخصائصهم حين كانوا يتحدثون إليه، ويلقون علمهم عليه. حتى لقي الفتى ذات يوم في الجامعة فتى كان قد ظفر بالشهادة الثانوية وتعلم في مدرسة الفرير، فكان متقناً للفرنسية، ولم يكد يتحدث إليه حتى ذكر صباه كله، فقد كان هذا الفتى ابن ملاحظ الطريق الزراعية في مدينته، وكان يختلف مع أخيه إلى الكتاب الذي حفظ الفتى فيه القرآن. فقد لقي الفتى إذاً رفيق صباه، ويسر له تعلم اللغة الفرنسية في غير مشقة ولا عناء، وأي شيء أيسر من أن يتعلم الفرنسية لا يدفع على تعلمها أجراً وإنما يعلم رفيقه بعض قواعد النحو والصرف؟

وبفضل هذا الرفيق محمد سليمان رحمه الله تعالى خطا الفتى في درس الفرنسية خطوات بعيدة، علمه رفيقه كما تعلم هو في المدرسة. قرأ معه الكتب الأولى ومازال يتدرج به من كتاب إلى كتاب حتى رأى نفسه ذات يوم يقرأ مع رفيقه قصة كانديد لفولتير. ويتعثر في فهمها تعثراً شديداً متصلاً ولكنه يفهم منها شيئاً. ورأى الفتى نفسه يختلف إلى دروس الأدب الفرنسي

فتفوته أشياء ويصيب أشياء، والأستاذ يعطف عليه، ويرفق به، ورفيقه يعينه علـى فهم ما يفوته، وإذا هو يتقدم في الدرس تقدمـاً حسناً، ويشعر أن أمر اللغـة الفرنسية قد أصبح يسيراً، فليس له بد من أن يحسنها وهو قادر على أن يحسنها إن مضت أموره على ما يجب.

الفصل السابع

الفلسفة أم التاريخ؟

.. ولم تمض أيام بعد فوز صاحبنا في الامتحان، حتى دعته الجامعة، وأنبأته بأن سيشرف بالمثول بين يدي الحضرة العلية الخديوية، من غد، إذا كانت الساعة الخامسة بعد الظهر، وأن عليه أن يتهيأ للسفر إلى الإسكندرية ظهر الغد، وسيقدمه إلى الجناب العالي، حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا الذي سيسافر إلى الإسكندرية في نفس الموعد وفي نفس القطار.

ورأى الفتى نفسه في قطار الإسكندرية، وفي الدرجة الأولى التي لم يعرفها من قبل ذلك اليوم. ورأى نفسه بين صديقه ذاك وبين شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي، وهم يأخذون في أطراف من الحديث، والباشا يقص عليهما فنوناً من حياته حين كان طالباً يختلف إلى دروس العلوم السياسية في باريس أو في لوزان. والفتى يسمع ويرى نفسه مختلفاً بعد وقت يقصر أو يطول إلى دروسه في السوربون، وتعرض له في باريس خطوب لا تشبه الخطوب التي عرضت له حين كان يختلف إلى دروسه في الأزهر أو في الجامعة.

فإذا بلغ القطار مدينة الإسكندرية ذهب الفتى وصاحباه، إلى القصر في عربة فخمة كانت تنتظر الباشا في المحطة، والفتى ينكر نفسه، وينكر هذا الترف الذي لا عهد له به، وهو في الوقت نفسه حائر ذاهل يفكر فيما سيسمع من الأمير وفيما سيقوله له.

وقد أدخل على الأمير، فإذا هو يلقى رجلاً كغيره من الرجال الممتازين الذين كان يلقاهم في الجامعة من أعضاء مجلسها، وإذا هذا الرجل يلقاه في سماحة سمحة بريئة من التكلف، وإذا هو يأخذ بيده فيجلسه على أريكة ويجلس إلى جانبه، مهنئاً له بفوزه، متمنياً له الخير والنجاح فيما يستقبل من الأيام، سائلاً إياه بعد ذلك عما يريد أن يصنع بعد أن ظفر بدرجته تلك.

قال الفتى:

- سأحاول السفر إلى فرنسا لأدرس الفلسفة أو التاريخ.

قال الأمير:

- إياك والفلسفة.. فإنها تفسد العقول!

وكان الإنكار قد ظهر على وجه الفتى، فمضى الأمير قائلاً:

- بل هي لا تفسد العقول وحدها، ولكنها تفسد الذوق أيضاً. لقد ذهبت إلى باريس منذ سنين واستقبلني الطلاب المصريون هناك، وكانوا جميعاً حاسري الرؤوس، في أيديهم قلانسهم إلا واحداً منهم كان حاسر الرأس كزملائه، ولكنه لم يكن يمسك قلنسوة وإنما كان يمسك طربوشاً في يده. فلما سألت عن هذا الفتى أنبئت بأنه منصور فهمي وبأنه يدرس الفلسفة. فعلمت أن الفلسفة قد أفسدت عليه عقله وذوقه جميعاً. فصاحب الطربوش لا يرفعه عن رأسه ولا يأخذه بيده حين يلقى الخديوي، وصاحب القلنسوة لا يتركها على رأسه وإنما يأخذها بيده في هذا المقام. ولكن صاحبنا كان يدرس الفلسفة!

ثم أغرق في ضحك متصل، والفتى مغرق في الوجوم... فلما سكت عنه الضحك، وهو يضع يده على ركبة الفتى:

- ستسافر إلى فرنسا، ولكن لا تدرس الفلسفة وعليك بالتاريخ فإنه علم عظيم.

وأنفق الصديقان ساعات حلوة في الإسكندرية، يهيمان على ساحل البحر، ويأخذان في ألوان من الحديث فيها قليل من جد وكثير من العبث. واستكشف الفتى في صديقه خصلة لم يكن يعرفها منه، وهي الإسراف على نفسه في الأكل. فلم يكن يلقى شيئاً يؤكل مما يحمله الباعة المتجولون إلا اشترى منه

وأقبل عليه يزدرده ازدراداً، والغريب أنه أقبل على عشائه كأنه لم يأكل قبله شيئاً. ثم قضيا ليلتهما في فندق تيمن الصديق باسمه، وقال لصاحبه:

- فأل حسن! ستسافر إلى فرنسا لأن الفندق يتسمى باسمها، وينسب إليها.

ولم يبلغ الفتيان مدينة القاهرة، حتى قال الصديق لصاحبه:

- إذا أدى إليك علوي بشا جائزته فاذكر أنك مدين لي بستة جنيهات واحذر أن تبطئ في أدائها إلي!

الفصل الثامن

في انتظار السفر إلى باريس

... وكانت تلك الأيام الطوال الثقال التي قضاها صاحبنا في القاهرة مروعاً ملتاعاً بعد أن حالت خطوب الحرب بينه وبين ما كان يريد. فقد أسلمته هذه الصدمة القاسية إلى هم متصل ذاد عنه النوم. فلم يكن يذوقه إلا حين يسفر الصبح ويستيقظ الطير، وقد بلغ منه الجهد غايته، وانتهى به العناء إلى أقصاه، بعد ليل مسهد وفكر مشرد ونفس قلقة عرفت كيف تتسل من ماضيها الثقيل ووقفت أمام المستقبل المظلم حائرة لا تعرف كيف تنفذ منه إلى ما كتب لها فيه من سعادة وشقاء.

في تلك الأيام كان الفتى فارغ النفس والقلب، ليست أمامه غاية يسعى إليها ولا أرب يطمع فيه. يصبح فلا يجد أمامه عملاً ينفق فيه بياض النهار، ويمسي وقد ثقلت عليه الراحة. فلا يحس من التعب والجهد ما يغريه بالنوم أو يغري به النوم، يرى نفسه بعد أن جاوز العشرين لا يزال عيالاً على أبيه الذي أثقلته نفقة البنين، وعلى أخيه الذي يعمل في الجمعية الخيرية الإسلامية منتظراً المنصب الذي جد وكد في سبيله، وهو منصب القضاء الشرعي. في تلك الأيام أبغض صاحبنا نفسه، ومل حياته وزاده درسه لأبي العلاء بغضاً لنفسه، وتبرماً بحياته وإغراقاً في التشاؤم المظلم الذي لا قرار له... ورأى نفسه ذات يوم وقد انتهى به التشاؤم والضيق إلى حيث ندم على ما فرط في جنب الأزهر وشيوخه حتى حيل بينه وبين درجة العالمية تلك التي كان يسخر منها أشد السخر ويزهد فيها أعظم الزهد بعد أن صرفت عنه فلم يحاول أن يستأنف السعي إليها.

وما أكثر ما كان يردد في نفسه ذلك الحديث المر: (لو قد ظفرت تلك الدرجة لكان لي مل أغدو إليه، ومورد أعيش منه، ولما أثقلت بهذه الحياة البغيضة على قوم من حقهم أن توضع عنهم الأثقال وتخف عليهم الأعباء).

والغريب أنه كان يخترع لنفسه هذه الحياة المرة البغيضة اختراعاً. فهو لم

يشعر من أبيه ولا من أخيه ببغض ما كان يجد في نفسه من الحزن والضيق واليأس، ولم يلحظ أن أحدهما ضاق من عنايته به أو رعايته له. وإنما جرت الصلة بينه وبين أسرته مطردة كما كانت تجري من قبل لم يتغير فيها شيء ولم ينسب به مكانه في بيته ذاك ولا مكانه في القاهرة بين صديقه، وإنما هو الذي كان يضيق باطراد الصلة وامتداد حياته على هذا النحو دون أن يتغير قليلاً أو كثيراً.

ثم يخطر له ذات يوم خاطر يخرجه من الملل واليأس ويدفعه لا إلى الأمل بل إلى محاولة الأمل. فما الذي يمنعه أن يعلم في الجامعة بعد أن تعلم فيها؟ وأن يختلف إليها أستاذاً بعد أن اختلف إليها طالباً؟ وأن يكون شأنه معها كشأنه مع الأزهر لو ظفر بدرجته وهو يريد من الجامعة أجراً فما ينبغي أن يكون عيالاً عليها.

وليست هي بالغنية ولا بالمحتاجة إليه، وإنما يريد أن يشغل نفسه عن نفسه، وأن يشعر الناس أنه يستطيع أن ينفع نفسه وينفعهم، وأن وجوده في هذه الدنيا ليس عبثاً ولا لغواً. وهو يكتب إلى رئيس الجامعة هذا الكتاب:

صاحب العطوفة رئيس الجامعة المصرية:

(كانت الحرب الحاضرة مؤخراً مانعاً لي عن السفر إلى باريس والالتحاق بطلبة إرسالية الجامعة كما قرر مجلس الإدارة، وإذ كنت خريج الجامعة وقد استفدت منها وتخصصت لها وأنا مضطر إلى أن أبقى بمصر ريثما تنتهي هذه الحرب، فقد أردت أن امضي هذه السنة في تدريس تاريخ الآداب العربية في الجامعة بغير أجر. وأعتقد أني قادر بمعونة الله وقديم فضل الجامعة على أن أفيد الطلاب ونفسي بهذا الدرس فائدة حسنة وأبعث في الآداب وتاريخها شيئاً من الحياة غير قليل، فإذا راق هذا الاقتراح لمجلس

الإدارة فأنا أرجو أن يتفضل فيقررني (كذا) مدرساً لهذه المادة في الجامعة ريثما تنتهي الحرب وله الشكر الجميل).

وعرض هذا الكتاب المغرور على مجلس الجامعة في السادس عشر من سبتمبر من ذلك العام، فقبل الطلب ورفض ما عرض صاحبه من المجانية، وكلف علوي باشا رحمه الله شيئين: أحدهما أن يشكر للفتى تبرعه بهذا الدرس، والثاني أن يقدر له مكافأة تلائم حاله وتلائم طاقة الجامعة.

وأخذ علوي باشا يساوم الفتى في هذه المكافأة، فعرض عليه أول ما عرض أن تكون

مكافأته بمقدار ما يكون من إقبال الطلاب على درسه، وأن تفرض الجامعة على الذين يختلفون إلى هذا الدرس رسماً يسيراً ثم يجمع ما يحصل عن هذه الرسوم ويدفع إلى الأستاذ الفتى. وزعم علوي باشا لصاحبنا أن بعض الجامعات الألمانية تسير هذه السيرة مع الأساتذة المبتدئين، ولكن صاحبنا اعتذر من قبول هذا العرض لأنه يجعله مديناً مباشراً بما يرزق من مرتب آخر الشهر.

قال علوي باشا:

- وإذن فستعطيك الجامعة مكافأة قدرها خمسة جنيهات في كل شهر وهي أكثر مما كان الأزهر لو جلست فيه مجلس الأستاذ.

واستخذى الفتى من هذا الحديث كله فلم يرجع على علوي باشا جواباً، وإنما انصرف عنه محزون القلب كئيب النفس كاسف البال، راضياً مع ذلك شيئاً من رضى، فقد أصبح له عمل ينفق فيه وقته وجهده. وليس بقليل أن يقال عنه إنه أستاذ في الجامعة. وأقبل على الأدب وتاريخه يعد دروسه فيهما. وقرر أن يختار للدرس في عامه الأول تاريخ الأدب الأندلسي. وما هي

إلا أن غـرق في (نفح الطيب) وما إليه من كتـب الأدب العربي في الأندلس، فنسي نفسه ونسي الناس، ولكنه لم ينس البعثة إلى باريس ولم ينس الحرب التي تحـول بينه وبين باريـس. وكيف السبيـل إلى نسيان الحـرب وأنباؤها المروعة تصبحه وتمسيه في كل يوم؟

وإنـه لغـارق في الأدب الأندلسـي يقرؤه مـع صديقه ذاك الذي قـرأ معه أبا العـلاء ويقرؤه مـع خادمه كلمـا غـاب صديقـه ذاك، وإذا الجامعة تدعوه فيذهـب إليها عجـلاً وجلاً ذات ضحى، وهناك يلقى علوي بشا ـ رحمه الله ـ فيستقبلـه باسماً له رفيقاً به، وينبئه بأنـه مسافر بعد أيام إلى فرنسا. فقد انجلـت الغمـرة بعض الانجلاء وانهـزم الألمان أمام باريـس، وسعى ممثلو فرنسا في مصر عند الحكومة وعند الجامعة لتعيدا طلابهما إلى الجامعات الفرنسية.

ومنـذ ذلك اليـوم أقبل الفتى على تهيئـة نفسه للسفر مستأنفـاً حياته تلك التـي كانت تملؤها الأحلام العذاب، والآمـال العراض. ويقبل اليوم الموعود فيسافـر الفتـى مـن القاهرة ومعـه أخ له يرافقـه في سفـره، ويحيا معه في فرنسـا ليتـم درسه هناك ويعـين أخاه على الحيـاة الشاقـة في تلك البلاد الغربيـة النائيـة. وقـد أبت الجامعة أن تحتمـل من نفقة هـذا الأخ قليلاً أو كثيراً. فاضطر الأخوان إلى أن يعيشا بمرتب واحد على ما في ذلك من ضيق وشدة. وقبلت الأسرة أن تعينهما بشيء من مال يسير بين حين وحين، وعلى غير نظام مطرد.

وفي الرابـع عشر من شهر نوفمـبر أبحر الفتى مـن الإسكندرية ومعه أخوه وطالبـان من طلاب البعثة الجامعية كان لهمـا في حياته في فرنسا شأن أي شأن.

... ويبلـغ الرفاق مدينة مونبلييه التي أمرتهم الجامعة أن يطلبوا العلم فيها عامهـم ذاك ولا يذهبـوا إلى باريس حتى يؤذن لهـم في الذهاب إليها، وهم يبلغون تلك المدينة مع الليل وهم يجهلون من أمرها كل شيء.

الفصل التاسع

الحياة الفرنسية بين التحصيل والمتعة

واستقبل الفتى حياته في مدينة مونبلييه سعيداً بها إلى أقصى ما تبلغ السعادة، راضياً عنها كأحسن ما يكون الرضى. فقد حقق أملاً لم يكن يقدر أنه سيحققه في يوم من الأيام.

.... ويذهب إلى الجامعة فيسمع فيها ما شاء الله أن يسمع من دروس الأدب والتاريخ واللغة الفرنسية، لا يسمع درساً إلا أحس أنه قد علم ما لم يكن يعلم، وأضاف إلى علمه القديم علماً جديداً، وهو على قلة حظه من إحسان اللغة الفرنسية لم يكن يجد كثيراً من المشقة ولا يبذل كثيراً من الجهد ليفهم ما كان الأساتذة يلقون من الدروس فهماً يغنيه ويرضيه. كان الفتى يوازن بين حياته هذه الجديدة وحياته تلك القديمة، ويقيس ما بينهما من الفرق العظيم، فيرى نفسه أسعد الناس وأعظمهم حظاً من النجح والتوفيق، وهو مع ذلك لم يكن ميسراً عليه في الرزق، وإنما كان عليه أن يدبر مرتبه ذاك الذي لم يكن يتجاوز اثني عشر جنيهاً لينفق منه على نفسه وعلى أخيه. وقد تهيأ له ما أراد من ذلك في غير تكلف ولا عناء. كانت الحياة الفرنسية في تلك الأيام هينة ميسرة تتيح لفتيين أجنبيين مثله ومثل أخيه أن يعيشا بهذا المرتب الضئيل عيشة راضية حين تقاس إلى ما كانا يلقيان في مصر من قسوة الحياة وشظفها.

ثم ما لبث الفتى أن فكر في أنه لم يعبر البحر إلى فرنسا ليتردد بين الفندق والجامعة، وإنما أقبل إلى هذا البلد الغريب ليدرس ويحصل ويجوز الامتحان ويظفر بالدرجات الجامعية التي لم يظفر بها أحد قبل من مواطنيه. فلم يكن له بد من أن يظفر بدرجة الليسانس، ولم يكن إلى الظفر بتلك الدرجة سبيل في تلك الأيام إذا لم يحسن الطالب لغتين لم يكن من إحسانهما بد. إحداهما لغة الدرس وهي اللغة الفرنسية التي كان الفتى قد أخذ منها بحظ يسير. والأخرى لغة قديمة كان الفتى سمع عنها ولا يحققها ولا يعرف إلى

العلم بها سبيلاً وهي اللغة اللاتينية.

وقد أخذ الفتى يتهيأ لإتقان الفرنسية من جهة، وتعلم اللاتينية من جهة أخرى. فالتمس لنفسه معلماً خاصاً يعينه من ذلك على ما كان يريد. وقد جعل رفاقه يبحثون له عن المعلم الذي يلائمه حتى قيل لهم إن صاحبكم مكفوف وليس له بد من أن يتعلم كتابة المكفوفين وقراءتهم ليستطيع أن يعتمد على نفسه في تحصيل ما يريد أن يحصل من العلم.

ثم قيل لهم إن في تلك المدرسة من مدارس المكفوفين أستاذاً ضريراً قد يعين صاحبكم على حاجته. فسعوا إلى هذا الأستاذ وقدموا إليه صاحبهم، وأعلن الأستاذ إليهم أنه عزم بأن يعلم رفيقهم الكتابة والقراءة الفرنسية واللاتينية جميعاً، ولم يطلب على هذا إلا أجراً ضئيلاً في نفسه، ولكنه كان ثقيلاً على هذين الأخوين اللذين كانا يعيشان بمرتب شخص واحد.

وقد قبل الفتى مع ذلك أن يشق على نفسه وعلى أخيه، وأن يؤدي إلى الأستاذ أجره الذي طلبه. وكتب إلى الجامعة يستعينها فلم تبخل بالعون وقامت عنه بأداء هذا الأجر.

.... وإذا المدينة تصبح كلها إشراقاً ونوراً.

سمع الفتى ذلك الصوت يقرأ عليه شيئاً من شعر راسين ذات يوم. فأحس كأنه خلق خلقاً جديداً، ومنذ تلك الساعة التي سمع فيها ذلك الصوت لم يعرف اليأس إلى نفسه سبيلاً.

ولم يعرف الفتى أنه أحب الحياة كما قد أحبها في الثامن عشر من شهر مايو في ذلك العام. ولم يعرف أنه انتفع بالاختلاف إلى الجامعة والقراءة في الكتب كما جعل ينتفع منذ ذلك اليوم أيضاً. حتى حين انقطع عنه ذلك الصوت العذب البر الرفيق لمقدم الصيف.

فقـد كان الصـوت يصحبه دائماً لا يـكاد يخلو إلى نفسه في ليـل أو نهار إلا سمعـه يقرأ عليه هذا الكتاب أو ذاك، في تلك النبرات التي كانت تسبق إلى قلبه فتملؤه رضى وغبطة وسروراً.

وإنه لفي هذه السعادة المتصلة، وإذا صاحبه الدرعمي يقبل عليه ذات صباح مظلم الوجـه والنفس والصوت، فينبئه بأن كتاباً قد وصل إليه من الجامعة تنبئـه فيه بأن طلاب البعثة جميعـاً يجب أن يعودوا إلى مصـر وأن يأخذوا إليها أول سفينة تتاح لهم بعد قراءة هذا الدعاء.

... ويـرى الفتى نفسه ذات يـوم من شهر سبتمبر يسعى مع رفيقه الدرعمي إلى السفينة، وكلاهما محزون كاسف البال كأنه لا يسعى للعودة إلى الوطن، وإنما يساق إلى الموت.

الفصل العاشر

في الحي اللاتيني

وكان صاحبنا مقسم النفس بين السعادة المشرقة والشقاء المظلم أثناء سفره الطويل منذ ترك القاهرة إلى أن بلغ باريس.

كان سعيداً لأن الغمرة قد انجلت عنه فاتصل من إقامته في فرنسا ما انقطع، وأذن الله له في أن يتم ما بدأ من الدرس، ويحاول تحقيق ما كان يداعب من الآمال، ويسمع من جديد ذلك الصوت العذب يقرأ عليه روائع الأدب الفرنسي وأزليات التاريخ اليوناني الروماني ويعينه على درس اللاتينية.

... كان حين ركب السفينة لأول مرة وخرج من زيه ذاك الأزهري ودخل في زيه الأوروبي الجديد قد نسي شيئاً واحداً لم يحسب له حساباً لأنه لم يكن يخطر له ببال. نسي بصره المكفوف، وأجفانه تلك التي كانت تتفتح ولكن على الظلمة المظلمة.

وكان قد قرأ من أحاديث أبي العلاء أنه كان يقول: إن العمى عورة. وفهم هذا كما فهمه أبو العلاء نفسه. فكان يتحرج في كثير من الأشياء أمام المبصرين. وكان يستخفي بطعامه وشرابه كما يستخفي بهما أبو العلاء حتى لا يظهر المبصرون ما يثير الإشفاق، والرثاء أو السخرية.

فلما بلغ مارسيليا نبهه رفاقه في تلطف أن تقاليد الفرنسيين تقضي على مثله أن يضع على أجفانه تلك غطاء من زجاج أسود. واشتروا له غطاء من تلك الأغطية الزجاجية السود التي يتقي بها المبصرون ضوء الشمس. ولم يؤذه تنبيه الرفاق له إلى ذلك وإنما رأى فيه تجديداً، وارتاح إليه بعض الارتياح وكاد يعفى من الشقاء بعينيه المظلمتين ثم لم يفكر في شيء من أمرهما ولا من أمر غطائهما ذاك الأسود حتى عاد إلى مصر. وفي مصر لقيه أكبر إخوته رحمه الله. وكان مطربشاً ميالاً إلى الترف على ضيق ذات يده وضآلة مرتبه. فلما رآه أنكر غطاء عينيه وقال:

- إنه رخيص حقير لا يليق بمثلك.

قال الفتى:

- ومـا علي أن يكـون رخيصاً أو حقيراً، فما ينبغي لمثلـي أن يزين بمثل هذا الغطاء.

.... ثـم أهـدى إليه غطـاء ذهبياً وعزم عليـه ليتخذنه مـكان ذلك الغطاء الرخيصـ الحقـير. واستجاب الفتى لأخيـه شاكراً رفقه بـه وعطفه عليه. وأقـام في مصر ما أقام يحمل على أنفه ذلـك الغطاء الذهبي الذي لم يكن رخيصـاً ولا حقيراً. ولكن عودته إلـى أوروبا تتقرر ويغدو على الجامعة ذات يـوم فيقرأ عليه كتابان، ثم يروح إلى منزلـه فيقرأ عليه كتاب ثالث كان قد حملـه البريد ذلك اليوم. وتملأ هذه الكتـب الثلاثة قلب صاحبنا غماً وهماً وبغضاً للحيـاة وضيقاً من الناس وتلقي على نفسه ووجهه غشاء صفيقاً من الكآبة ينكره الرفاق... ولم يجب الفتى.. ولكن دمعتين تنحدران على خديه.

ويمضـي القطـار وقد سكت البكاء عـن الفتى. ولكن هـذه الكتب الثلاثة لم تسكـت عنه، وإنما رافقته أثناء سفره كلـه ملحة عليه بالعذاب، حتى لكانت جديـرة أن تبغض إليه نفسه لولا ذلك الصوت العذب الذي كان يناجيه بين حين وحين فيرد إلى نفسه المروعة شيئاً من أمن وإلى قلبه شيئاً من أمل.

... وكذلـك رأى الفتـى رجلاً غريباً مستعداً للقيـام ببعض نفقته في أوروبا، وأخـاً قريباً كارهاً لبعض ما يطلب إليه من ذلك. والغريب أنه لم ينبئ بأمر هذا التبرع من علوي باشا أباه ولا أخاه الشيخ، وإنما كتم القصة عن الأسرة كلهـا. وكان لـه رحمه الله عذره في هـذا الكتمان. فقد كان أبـوه يرسل إليه بـين حين وحـين جنيهات تبلغ العشرة مـرة وتزيد عليها مـرة أخرى ويكلفه أن يرسلهـا إلى أخويـه في أوروبا معونة لهما على الحيـاة. فكان يتلقى هذه

الجنيهات فإذا استقرت في يده لم يسهل عليه إرسالها إلى أوروبا، وإنما أنفقها في بعض شأنه هو... وما أيسر ما رد الفتى ذلك الغطاء الذهبي، وعاد إلى غطائه ذاك الرخيص الحقير الذي لم يكن ثمنه يزيد عن قرشين اثنين.

... ولم ينس صاحبنا قط أنه أجلس في مكانه من القطار حين بلغ روما وقد انتصف الليل فلم يبرح مكانه ذاك إلى جانب النافذة إلا حين بلغ القطار باريس بعد ثلاثين ساعة كاملة لم يتحرك، وإنما كان أشبه بمتاع قد ألقي في ذلك الموضع وانتظر حتى يبلغ القطار غايته لينقل إلى موضع آخر. لم يتحرك وكان أشبه شيء بالمتاع، ولكنه كان متاعاً مفكراً. يفكر فيما حفظ من قول أبي العلاء إن العمى عورة، وقد فهمه الآن على وجهه وهو يرفع يده بين حين وحين ليتحقق من أن ذلك الغطاء الرخيص الحقير ما زال يستر عينيه اللتين كان يجب أن تسترا.

... ويفكر مرة ثالثة في ذلك الصوت العذب الذي كان ربما ألم به بين حين وحين مواسياً له مترفقاً به قارئاً عليه هذا الفصل أو ذاك من هذا الكتاب الفرنسي أو ذاك، منبئاً له بين ذلك بأنه ينتظره في باريس ليقرأ عليه وما أكثر ما سيقرأ عليه.

... ثم ينصرف عن هذا الحديث إلى غنائه ذاك الذي كان يتغنى به أمام بعض الفتيات الفرنسيات فيرضين عنه أشد الرضى ويعجبن به أشد الإعجاب ولا يلقينه إلا تمنين عليه أن يعيد عليهن غناءه ذاك، وكن يسمينه (أعرابي) فيقلن له في إلحاح:

- غن لنا (أعرابي).

يلغين العين ويلثغن بالراء ويقصرن الألف بينها وبين الباء. ويرتاح صاحبنا

إلى إلحاحهن فيندفع في غنائه على نحو ما يصنع بعض المنشدين في الأذكار:

يا رب صل على الهادي واغفر ما أنت به أعلم

أعرابي جاء إلى الهادي معه ضب لا يتكلم

... وبعد قليل كان الفتى في غرفة جميلة رائعة بفندق من فنادق الحي اللاتيني، ولم يكد يستقر في غرفته حتى أصلح من شأنه، وتهيأ لاستقبال شخص طالما نازعته نفسه إلى لقائه منذ شهور، وطالما أشفق من ألا يلقاه أبداً.

ويطرق الباب طرقاً خفيفاً في آخر الضحى، فإذا أذن بالدخول دخل عليه شخصان يسمع صوت أحدهما حتى انجلى عنه حزنه وانجاب عنه يأسه وانصرف عنه الهم، كأنه يستأنف حياة جديدة لم يحيها من قبل. ولم لا؟ لقد بدأ منذ ذلك اليوم حياة ليس بينها وبين حياته الأولى سبب أو صلة.

الفصل الحادي عشر

نداء الحب

كانت حيـاة الفتى في باريس حلوة مرة ويسيرة عسيرة، لم يعرف فيها سعة ولا دعـة، ولكنـه ذاق فيها من نعمة النفس وراحـة القلب ورضى الضمير ما لم يعرفـه من قبل وما لم ينسه قط. كانت حياته المادية شاقة، ولكنه احتمل مشقتهـا في شجاعـة ورضـى وسماح، لم يكـن مرتبه يتجـاوز ثلاثمائة من الفرنكات، كان يدفع ثلثيه في اليوم الأول أو الثاني من كل شهر، ثمناً لمسكنه وطعامـه وشرابه، وكان يدفـع نصف الثلث الذي كان يبقى لـه أجراً لسيدة كانـت تصحبه إلـى السوربون مصبحاً وممسياً ليسمـع فيها دروس التاريخ على اختلافها، وتقرأ له بين ذلك ما شاء الله من الكتب حين لا يخلو له ذلك الصوت العذب الذي كان قد رتب له ساعات بعينيها في النهار ليقرأ له فيها روائـع الأدب الفرنسـي، وكان يستبقي فضل مرتبه بعد ذلك لينفق منه على ما يعرض من حاجاته اليومية. فأما أمر كسوته فقد تركه إلى الله لأن مرتبه لم يكن يتسع له.

وأنفق السنة الأولى من حياته في باريس لا يخرج من بيته إلا إلى السوربون. فـكان سجيناً أو كالسجين لم يذكر قط أنه خرج من باريس إلى ضاحية من ضواحيها في أيام الراحة التي كان رفاقه ينفقون فيها أيام الآحاد، ولم يذكر قط أنه اختلف إلى قهوة من قهوات الحي اللاتيني التي كان رفاقه الجادون يلمـون بها بين حين وحين، وكان أكثر الطلاب المصريين يختلفون إليها أكثر ممـا كانـوا يختلفون إلـى الجامعة، وإنمـا كان يلزم بيته في أيـام الراحة لا يفارقـه وربما خلا إلى نفسه اليـوم له في غرفته، إلا أن يلم به ذلك الصوت العذب فيقضي معه ساعة من نهار.

وكان يسمع أنباء المسارح ومعاهد الموسيقى واللهو، وكانت نفسه ربما تنازعه إلـى بعض هذه المسـارح ليسمع قصة أو تلك، ولكنـه كان يرد نفسه في يسر إلى القناعة والرضى. وكيف السبيل إلى غير ذلك وهو لا يستطيع أن يذهب

وحـده إلى حيث يريـد ولا يستطيع أن يدعو غيره إلـى مرافقته، ولا يريد أن يكلف غيره من الناس عناء مرافقته من جهة وتحمل ما تقتضيه هذه المرافقة من النفقات من جهة أخرى، ولم تكن ذكرى أبي العلاء تفارقه في لحظة من لحظات اليقظة إلا أن يشغل عنها بالاستماع إلى الدرس أو إلى القراءة. كان يذكـر دائماً قـول أبي العلاء في آخر كتاب من كتبه أنه رجل مستطيع بغيره، وكان يرى نفسه مستطيعاً بغيره دائماً، ويحتمل في سبيل ذلك من غيره هذا الـذي يتيـح له الاستطاعة ألوانـاً من المشقة وفنوناً مـن الأذى دون أن ينكر منها شيئاً، فهو مكره على احتمالها إكراهاً، وهو مخير بين أن يقبل ما يكره من غيره من الذين كانوا يعينونه على ما يريد أو يرفضه فيضطر إلى العجز المطلـق اضطراراً، ويضيع حياته في باريـس بل حياته كلها في باريس أو غير باريـس. وكيف السبيل له إلى أن يذهـب إلى السوربون ليسمع الدروس فيها إذا لم تعنـه على ذلك السيدة التي لم يكـن من معونها بد والتي كانت ترفق به أحياناً وتعنف به أحياناً أخرى، وربما صحبته من البيت إلى الجامعة دون أن تلقـي إليـه كلمة أو يسمـع لها صوتاً، وإنما كانت تعطيـه ذراعها وتمضي معـه صامتة كأنما تجر متاعاً لا ينطق ولا يفكر، حتى إذا بلغت قاعة الدرس أجلسته إلى مائدة من موائدها، وانصرفت عنه إلى خارج القاعة فانتظرت حتى إذا فرغ الأستاذ من درسه أقبلت عليه فأقامته من مجلسه، ومضت به إلى بيته، حتى إذا انتهت به إلى غرفته أدخلته فيها وأغلقت من دونه الباب، وهي تقول له في صوت خاطف:

(إلى اللقاء في ساعة كذا من النهار).

وظـل الفتى على هذه الحل شهـوراً، ولكن الله رفق به بعد ذلك فأتاح له من كان يهيئ له طعامه ويعلمه كيف يرضي منه حاجته.

واتخـذ الفتى زي الأوروبيين، وما أسرع مـا تعلم الدخول فيه والخروج منه،

إلا شيئاً واحداً لم يحسنه أعواماً طوالاً، وهو هذا الرباط السخيف الذي كان يديره الناس حول أعناقهم يتأنقون فيها قليلاً أو كثيراً.

... وبينما كان الفتى يمتحن بأثقال هذه الحياة المادية والعقلية العسيرة، مجاهداً ما استطاع الجهد، مروعاً بين حين وحين بهذا اليأس الذي كان يتراءى له من وقت إلى وقت فيشقيه ويضنيه، فتح له باب من أبواب الأمل لم يكن يقدر أنه سيفتح له في يوم من الأيام. ألمت علة طارئة بصاحبة الصوت العذب الذي كان نعيمه الوحيد في حياته الشاقة المظلمة، فأقبل يعودها وجلس يتحدث إليها، ثم لم يدر كيف التوى به الحديث، ولكنه سمع نفسه يلقى إليها في صوت أنكره هو قبل أن تنكره هي: أنه يحبها.

ثم سمعها تجيبه بأنها هي لا تحبه.

قال:

- وأي بأس بذلك؟

إنه لا يريد لحبه صدى ولا جواباً وإنما يحبها وحسب.

فلم تجب، وغيرت مجرى الحديث، وانصرف عنها بعد ساعة، وقد استقر في نفسه أن حياته منذ ذلك اليوم طريقاً جديدة.

... ولكن حبه كان يستحيي حتى من نفسه فينكرها، وكان الفتى يخفي شعوره ذاك في أبعد ما يمكن أن يستقر من أعماق ضميره، ويكره أن يتحدث به إلى نفسه، وقد استيقن أنه لم يخلق لمثل هذا الشعور وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له. وأين هو من الحب؟ وأين الحب منه؟

إنما كتب عليه أن يعيش كما عاش مثله الأعلى على ذلك الذي وقف حياته منذ قرون طوال في دار من دور المعرة على الدرس ممعناً فيه، غير معني إلا به، محرماً على نفسه ما أباح الله للناس من طيبات الحياة.

... ولكنه كان يلقى صاحبته بعد أن انجلت غمرة العلة، فإذا هي كعهده بها لم تتغير، لم تزدد إقبالاً عليه، ولم يجد منها إعراضاً عنه ولا نفوراً منه، وإنما هي تلقاه كما تعودت أن تلقاه رفيقة به عطوفاً عليه، وتقرأ كما تعودت أن تقرأ له، وتبين له ما يشكل عليه أثناء القراءة، كما تعودت أن تفعل من قبل، فيرده ذلك إلى شيء من الأمن، ثم إلى شيء من الدعة وراحة البال، وتنقضي أيام، وإذا ذلك الشعور الخفي العميق الذي ظهر فجأة في ساعة من الساعات ثم استحيا وعاد إلى مستقره ذاك من أعماق الضمير، يظهر مرة أخرى ولكن في تحفظ وتردد وأناة، لا يتحدث إلى الفتاة بشيء ولا يتحدث إلى الفتى بشيء حين يلقاها، وإنما يكمن في مستقره من أعماق الضمير.

حتى إذا أقبل الليل وخلا صاحبنا إلى نفسه وهو أن يستقبل النوم خرج ذلك الشعور من مكمنه وذاد النوم عن صاحبه وجعل يسامره حتى يوشك الصبح أن يسفر ثم يعود إلى مكمنه ذاك ويسلم الفتى إلى نوم قصير.

... وأقبل الصيف وكان الافتراق، ذهبت هي إلى قرية في أقصى الجنوب. وأقام هو في باريس واتصلت بينهما الرسائل ولكنها قبل أن تفارقه كلفت زميلة لها أن تكون هي الكاتبة القارئة لرسائلهما حتى لا يطلع على هذه الرسائل زميل من زملائه.

واتصل الفراق شهراً، ولكن رسالة تصل إليه في آخر هذا الشهر وفيها الدعوة المرتقبة إلى أن يقضي معها وأسرتها بقية الصيف. وإذاً فقد تحقق أمله، أو كاد يتحقق، وهو يعلن لزملائه المصريين أنه سيترك باريس إلى حيث يقضي الصيف مع تلك الأسرة وهم يصدونه عن ذلك مشفقين عليه.

ولكنه مصر على ما أراد، فيصحبه صديقه الدرعمي ذات مساء إلى حيث

يضعـه في القطار ويوصـي به بعض من فيه. وينصرف عنـه ويدعه وحيداً. وينفـق الفتى ليـلاً في القطار، لا يـدري أقصر أم طال لأنـه لم يفكر أثناءه إلا في هـذا اللقـاء الـذي سيكون حين يرتفـع الضحى ويبلغ القطـار غايته، وإذا الصـوت العذب يدعو صاحبنا في رفق وعطف وحنان ويشعر بأنه اليوم سيخلق خلقاً جديداً.

الفصل الثاني عشر

الخروج من العزلة

... كان يـرى نفســه إنساناً من الناس ولد كما يولـدون وعاش كما يعيشون، مقســم الوقت والنشاط فيما يقسمون وقتهم ونشاطهم. ولكنه لم يكن يأنس إلــى أحد، ولم يكـن يطمئن إلى شيء، قد ضرب بينه وبـين الناس والأشياء حجابـاً ظاهره الرضى والأمــن، وباطنه من قبله السخـط والخوف والقلق واضطـراب النفـس، في صحـراء موحشة لا تحدها الحـدود، ولا تقوم فيها الأعـلام، ولا يتبين فيها طريقه التي يمكن أن يسلكها، وغايته التي يمكن أن ينتهي إليها.

ولكنــه ينظر ذات يوم فإذا هو قد أخـذ يتخفف قليلاً قليلاً من غريزته تلك الوحشيــة القلقة، ويحس شيئاً من الأنس الرفيق إلى بعض الناس، ثم يحس هــذا الأنســ يقوى في نفسه من يوم إلى يوم، وإذا هو لا يطمئن إلى غيره من الناس أيضاً.

كان يــرى نفســه غريبــاً أينمــا كان وحيثما حـل، لا يكاد يفــرق في ذلك بين وطنــه الذي نشأ فيه، وبين غيره من الأوطان الأجنبية التي كان يلم بها، لأن ذلــك الحجاب الصفيق الــذي ضرب بينه وبين الدنيا منــذ أول الصبا كان محيطاً به، يأخذه من جميع أقطاره في كل مكان، فكان الناس بالقياس إليه هــم الناس الذين يسمع أصواتهم، ويحســ بعض حركاتهم، ولكنه لا يراهم ولا ينفــذ إلى مــا وراء هذه الأصوات التي كان يسمعهــا والحركات التي كان يحسها.

كان غريبــاً في وطنــه، وكان غريباً في فرنسا، وكان يرى أن ما يصل إليه من حياة الناس ليس إلا ظواهر لا تكاد تغني عنه شيئاً.

... كانــت حياته حيرة متصلــة كلما خلا إلى نفســه. وكان لا يملك أمره إلا حــين كان يتحدث إلى النــاســ أو يسمع لهم أو يختلف إلى الدروس أو يصغي

لما كان يقرأ عليه. فأخذ كل هذا ينجاب عنه وأخذ يدخل في الحياة كأنه لم يعرفها من قبل وكان ذلك الشخص الحبيب إليه الكريم عليه هو الذي أخرجه من عزلته تلك المنكرة. فألغى في رفق وفي جهد متصل أيضاً ما كان مضروباً بينه وبين الحياة والأحياء والأشياء من الحجب والأستار.

كان يحدثه عن الناس فيلقى في روعه أنه يراهم وينفذ إلى أعماقهم. وكان يحدثه عن الطبيعة فيشعره بها شعور من يعرفها عن قرب. كان يحدثه عن الشمس حين تملأ الأرض ظلمة، وعن مصابيح السماء حين ترسل سهامها المضيئة إلى الأرض، وعن الجبال حين تتخذ من الجليد تيجانها الناصعة، وعن الشجر حين ينشر من حوله الظل والروح والجمال، وعن الأنهار حين تجري عنيفة والجداول حين تسعى رشيقة، وعن غير ذلك من مظاهر الجمال والروعة ومن مظاهر القبح والشجاعة فيمن كان يحيط به من الناس، وفيما كان يحيط به من الأشياء.

... ولم ينفق الفتى وصاحبه صيفهما ذاك فيما تعود الفتيان المحبون أن ينفقوا فيه أيام حبهم الأولى من تلك الحياة الهائمة الناعمة التي تخلص من المشقة وتتخفف من الجهد وتفرغ لرضى النفوس وغبطة القلوب والذهاب مع الخيال الهائم في كل مذهب. وإنما عرفا أن وقتهما أضيق من الفراغ للحب ونعيمه، فوقت الفتى في فرنسا محدود، وعليه واجبات يجب أن تؤدى، وله مهمة يجب أن تتم وهو مسؤول عن هذا كله أمام جامعة في مصر لا تعرف السماح ولا المزاح مع الذين ترسلهم إلى أوروبا ليطلبوا العلم فيها. ولها الحق كل الحق في ذلك، فهي إنما ترسلهم إلى أوروبا ليتعلموا لا ليحيوا، وليجدوا في طلب العلم لا ليتعلقوا بأسباب الحياة.

وما أكثر ما ذكر الفتى أشهر الصيف تلك في أقصى الجنوب الفرنسي، وما

جـاء بعدها من الشهـور في باريس، فرضي عن صاحبته وعن نفسه رضى لا تشوبه شائبة من سخط أو إنكار.

وانظـر إلى فتاة وفتى في أول عهدهما بالخطبة ينفقان أكثر النهار في درس اللاتينيـة حين يصبحان، وفي قراءة الترجمـة الفرنسية لمقدمة ابن خلدون حين يرتفع الضحى.

... فـإذا كانت الساعـة الخامسة انصرفا عن تاريخ اليونـان والرومان إلى الأدب الفرنسـي فقـرآ منه مـا شـاء الله أن يقرآ كذلـك. لا ينصرفان عن القراءة إلا ريثما يخرجان للتروض خارج القرية التي يعيشان فيها.

ينفقـان في تروضهمـا ذاك ساعة أو أقـل من ساعة ثم يعـودان إلى المائدة فيصيبان شيئاً من طعام ثم تجتمع الأسرة كلها إلى كتاب يقرأه عليها ذلك الصوت العذب.

... وكان قد أزمع أن يظفر قبل كل شيء بشهادة الليسانس. ثم يتقدم لدرجة الدكتـوراه بعد ذلك، ولم يكن الطلاب المصريـون إلى ذلك الوقت يحاولون الظفر بدرجة الليسانس هـذه، لأنها كانت تكلف الذين يطلبون عناء ثقيلاً. كانـت تكلفهم إتقان الفرنسية أولاً ليؤدوا الامتحان التحريري فيما يدرسون مـن العلـم، وليؤدوه كما يؤديـه الطلاب الفرنسيون يكتبـون ما يرادون على كتابتـه في لغة فرنسية لا عوج فيها ولا خطـأ، وكانت تكلفهم درس اللاتينية ليؤدوا فيها امتحاناً تحريراً كذلك.

... ولكـن مشكلة خطيرة عرضت له، وكانت خليقة أن تفسد عليه أمره كله، ولم يكـن بينها وبـين الدرس صلة، فهو قد خطب تلك الفتاة إلى نفسها وإلى أسرتها، وقد قبلت الفتاة خطبته بعد تردد طويل، وقبلتها الأسرة بعد امتناع وإبـاء. ولكن صاحبنا لم ينس شيئاً واحـداً، وهو أنه قد أعطى الجامعة قبل

أن يسافر ذلك العهد الذي كان يعطيه أعضاء البعثة جميعاً قبل سفرهم ألا يتزوج أثناء إقامته في الخارج طلباً للعلم.

وهو لم ينقض ذلك العهد لأنه خطب ولم يتزوج، ولكنه عجل إلى الزواج. فليس له بد إذن من استئذان الجامعة أو نقض العهد الذي أعطاه لها. وقد أزمع أن يستأذنها وكتب إليها في ذلك. ولكنه كان يطيل التفكير في عواقب هذا الكتاب، كان يرجح ألا تأذن له الجامعة وكان يسأل نفسه فيطيل السؤال عما يكون من أمره إن رفضت الجامعة الإذن له فيما يريد.

... أذنت له الجامعة إذن، ولكنه هو لم يأذن لنفسه ولم تأذن له الفتاة حتى يظفر بدرجة الليسانس هذه التي لم يظفر بها مصري بعد، وحتى يشعر الجامعة بأنه صاحب جد ونشاط وإنتاج لا صاحب لعب وكسل واشتغال بنفسه عما يجب عليه من الدرس والتحصيل.

... وقد أتيح له النجح. وكان الأستاذ الدكتور صبري السوربوني هو الذي أقبل ذات مساء فرحاً يكاد يخرجه الفرح عن طوره، مكدوداً يكاد يقطع الإعياء تنفسه لشدة ما جرى بين السوربون وبين بيت الفتى. ولشدة ما أسرع في صعود السلم إلى بيت الفتى في الطبقة السادسة. فلم يكد يفتح له الباب حتى أعلن لمن فتحه له أن زميله قد ظفر بدرجة الليسانس، ولم يدخل وإنما رجع أدراجه لم يرد حتى أن يستريح.

وكان الزميل الكريم قد تقدم للامتحان ولم يكد ينظر في النص اللاتيني حتى طواه وقدم صفحته البيضاء وانصرف ضاحكاً متمثلاً بيته اللاتيني ذاك الذي يصور اليأس والقنوط. فكان رائعاً حقاً أن يكون ابتهاجه بفوز زميله بهذه الدرجة العسيرة أملك له وأشد استئثاراً به من إخفاقه هو في الامتحان.

وألقي نبأ النجح إلى الفتى، فلم يصدقه حتى صحبته خطيبته إلى السوربون وقـرأت له اسمه بين أسماء الناجحين، ثم لم تعد به إلى البيت حتى حجزت أمكنة للأسرة كلها في بيت موليير تكافئ بذلك صديقها وخطيبها على هذا النجح الذي لم يكن مرتقباً.

وأصبح الفتى من غده فأبرق إلى الجامعة ولم يمض يومان حتى أبرقت إليه الجامعـة تهنئه وترسل إليه مكافأة قدرها عشـرون جنيهاً.. وفي ذلك اليوم قرر الخطيبان أن يتما زواجهما قبل رحلة الصيف إلى الجنوب.

الفصل الثالث عشر

الحب أولاً..

وكان أمـر الفتـى في عامه الدراسـي ذاك عجباً كله، فهـو لم يتهيأ لامتحان الليسانـس وحده بما فيه من عسر ومشقة، وإنما جعل يعد رسالته للدكتوراه عـن فلسفة ابـن خلـدون الاجتماعية، فقرأ لذلـك ما شـاء الله أن يقرأ في اللغتـين العربية والفرنسيـة، وترجمت له نصوص أخرى مـن لغات أوروبية مختلفة، ثم أخذ في إملاء رسالته، يقول هو وتكتب صاحبته، وتقوم في أثناء ذلـك ما يعوج من لغته الفرنسية. ولا يكاد يفرغ من إملاء فصل من فصول هـذه الرسالة حتى يعيد قراءته ثم يعرضه على أستاذه المستشرق الفرنسي كازانوفـا، فـإذا أقـره أخذ في إمـلاء الفصل الذي يليـه. ولم تكن الجامعة قـد فرضـت عليه هذه الرسالة، بل لم يكن بين هـذه الرسالة وبين برنامجه الدراسـي سبب. فهو قد أرسل ليدرس التاريـخ، وكلف الحصول على درجة الليسانس وتطوع هو بهذه الرسالة لأنه سمع دروس الاجتماع التي كان يلقيها الأستـاذ دوركيم، فشغف بهـذا العلم أي شغف، وأراد لـه مشاركة فيه، وأن يشـرف الأستاذ على هذه المشاركة. فاتفق معـه على موضوع الرسالة وعلى أن يكـون هو مشرفاً عليها من الناحية الفلسفيـة، وأن يشاركه في الإشراف مستشرق يحسن العلم بالشؤون العربية والإسلامية فكان كل فصل من هذه الرسالة يقرأه أستاذان المستشرق أولاً ثم يقرأه الأستاذ دوركيم بعد ذلك.

ولمـا استقام أمر هذه الرسالة للفتى كتب إلى الجامعة ينبئها بما صمم عليه، وبأن هذا لن يغير من برنامجه المرسوم شيئاً، بل ينبئها بأنه يزمع أن يضيف إلـى هـذا البرنامج المرسـوم شيئاً آخر: يريـد إن ظفر بالليسانـس أن يظفر بالإجازة التي تليه، وهي دبلوم الدراسات العليا. واستأذن الجامعة في أن يتهيأ لنيل درجة دكتوراه الدولة أربعة أعوام بعد حصوله على الليسانس والدبلوم.

فكتبت إليه الجامعة تأذن له بنيل الدبلوم إن استطاع بعد الليسانس، وتعفيه من دكتـوراه الدولة في التاريخ، لأنها تطيل إقامته في أوروبا وتكلف الجامعة من النفقات أكثر مما تطيق.

ثـم أذنت له بتقديم رسالته عن ابن خلـدون لنيل دكتوراه الجامعة، وذكرته بالعهـد الذي قطعه على نفسه قبل أن يسافر من مصر وهو ألا يقدم رسالة إلى جامعة أجنبية مهما يكن موضوعها إلا بعد أن تقرأها الجامعة المصرية وتـأذن في تقديمهـا، وكان الصديق الكريم منصور فهمـي هو الذي اضطر الجامعة إلى أن تأخذ طلابها في أوروبا بأن يعطوا على أنفسهم هذا العهد.

... ولم ينقضـ شهـر يوليـو مـن ذلك العـام حتـى كان الفتى قـد نجح في الليسانـس من جهة، وأذنت لـه السوربون في طبع رسالتـه توطئة لمناقشتها بعد الصيف.

وقـد تخفف الفتى من عبئين ثقيلـين. عبء الليسانس ومـا فيه من امتحان اللغـة اللاتينيـة، وعـبء الرسالـة وما فيها مـن رقابة الجامعـة والإذن في تقديمهـا. على أن فوزه بالليسانس لم يكن كاملاً، فهو قد نجح في الامتحان التحريـري نجاحاً حسنـاً، ولكنه كان قـد شق على نفسـه بالاستعداد لهذا الامتحان وكتابة رسالة وهو بعد ذلك مشغول متصل التفكير في زواجه الذي أذنت به الجامعة والذي كان يجب أن يتم في ذلك الصيف.

فخادع الفتى نفسه شيئاً، وقرر أن يرجئ الامتحان الشفهي إلى الدور الثاني في أول العام الدراسي، وما هي إلا أن يعرض نفسه على طبيب فيشهد كتابة بأنه مكدود العصاب محتاج إلى الراحة، ويقدم هذه الشهادة إلى السوربون فتؤجل ما بقي من امتحانه إلى شهر نوفمبر، ويفرغ الفتى لنفسه وخطيبته، وما كان يعنيهما من أمر الزواج.

فـإذا كان اليوم التاسع مـن أغسطس من ذلك العـام، أصبحا زوجين حين انتصـف النهـار وتركا باريس إلـى الجنوب حين أقبل الليـل. ولم يفرغا مع ذلـك لحياتهما الجديدة أثناء الصيف، وإنما استقـرا في مدينة هادئة من

مـدن الجنوب، وأقبلا فور استقرارهما على مـا لم يكن بد من الإقبال عليه وهو الاستعداد للامتحان الذي يجب أن يؤدى بعد شهرين.

... وينقضـي الصيـف ويعـود الزوجـان إلى باريـس، ويقبـل صاحبنا على الامتحان مشفقاً منه أعظم الإشفاق، مروعاً به أشد الروع لا يخاف التاريخ القـديم، وإنما يخاف أشد الخـوف أساتذة التاريخ الحديـث والمعاصر، ولا يـكاد يذكر الجغرافيا حتـى يجن جنونه، فقد كان واثقاً بأنه مخفق من غير شك. وقد كتب عليه أن يرضى في يوم من أيام الامتحان كل الرضى مصبحاً وأن يسخط فيه كل السخط ممسياً.

... في ذلـك اليـوم لم يعد الزوجان إلى البيت ليصيبـا غذاءهما، وإنما ألح الفتـى على صاحبته في أن يرفها علـى نفسيهما بتناول الغذاء في مطعم من مطاعـم الحـي اللاتيني، يجدان فيه مـن لين الطعام ما لم يكـن مقدراً أن يجـداه إن عادا إلى البيـت. وكانت صاحبته تكره له أن يسرف فيما يبقى له من مرتبه بعد أداء ما عليه فيه من الحق، فامتنعت عليه وألحت في الامتناع، ولكنـه مـا زال بها حتى استجابت له. فأصابـا في ذلك اليوم غذاء قلما كانا يصيبان مثله في سائر أيامهما.

... وكذلـك خلص الفتى من مشكلات الليسانس وأقبـل على الرسالة يتهيأ لمناقشتهـا مستريـح القلب هـادئ النفس راضـي الضمير، ولكنـه لم يلبث أن روع بوفـاة الأستاذ دوركيـم المشرف الفلسفي علـى رسالته. وكان الفتى لأستاذه محباً وبه معجباً إعجاباً يوشك أن يبلغ الفتون، فأدركه للخطب فيه حزن عميق. ولكن للحيـاة حقائقها وتبعاتها. وليس بد لهذه الرسالة من أن تناقش، وليس بد لمناقشتها من فيلسوف متخصص في الاجتماع.

... ولـولا فضـل من شجاعـة واستيحاء مـن الرفاق ومن زوجـه التي كانت

تشهد الامتحان ومن سائر النظارة لاصطكت أسنانه ذعراً وهلعاً. ولكنه ثبت للخطب على كل حال، وإن رأى الأساتذة والنظارة أن فرائصه كانت ترتعد، وأنه كان شديد الاضطراب، وثابت نفسه إليه حين سكت عنه أستاذ التاريخ وأخذ أستاذ الفلسفة في مناقشته وجرت ريح الامتحان له رخاء حتى رفعت الجلسة.

وخلت اللجنة للمداولة وعادت بعد لحظات فأعلن إليه رئيسها، وهو أستاذ التاريخ ترشحه لدرجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة ومع تهنئة اللجنة. ولأول مرة سمع الفتى تصفيق النظارة من الفرنسيين لشخصه المتضائل الضعيف. وعاد إلى أهله جذلان فرحاً، وظن أن قد حطت عنه أثقال الدراسة، وأن ما بقي له منها لن يكون شيئاً ذا بال.

ولكن الأيام كشفت له عن أنه كان مغالياً في تفاؤله بل مسرفاً في الغلو. فقد بقي عليه أن يظفر بدبلوم الدراسات العليا، وأراد حظه أن يعد رسالته لهذا الدبلوم بإشراف أستاذ التاريخ ذلك الذي أرهقه من أمره عسراً.

الفصل الرابع عشر

بين خوف الطالب وفرح الأب

ولم يمهل صاحبنا نفسه بعد أن فرغ من امتحان الدكتوراه إلا أياماً قليلة، ثم أقبل على درس التاريخ ذاك كما تعود أن يفعل منذ أقام في باريس، وكان على هذه الدرس حريصاً ولصاحبه محباً، بل كان إعجابه بصاحب هذا الدرس عظيماً، فلما انتهى الأستاذ من درسه سعى إليه صاحبنا خزيان وجلا، وأنبأه بأنه يود لو أذن له في أن يهيئ بإشرافه رسالة في التاريخ القديم ينال بها دبلوم الدراسات العليا.

وقد قبل الأستاذ طلب تلميذه أحسن قبول، وضرب له موعداً بعد درس الغد ليتحدث معه في موضوع هذه الرسالة. وانصرف الفتى راضياً مشفقاً. راضياً عن العمل مع هذا الأستاذ العظيم، مشفقاً من مشقة هذا العمل. فقد كان الأستاذ معروفاً على حبه لتلاميذه بالشدة عليهم وتكليفهم من الأعمال أشقها وأشدها عسراً ومحاسبتهم بعد ذلك حساباً لا رفق فيه.

... ثم أحصى له طائفة من الكتب التي ينبغي أن يقرأها أو يراجع فصولاً فيها، فرأى أنه لا يستطيع أن يستعيرها لأن مثل هذه الكتب لا تعار من مكتبة الجامعة لكثرة حاجة الطلاب إليها. وليس له بد من شرائها، وفي شرائها المعضلة الكبرى. فثمنها لا يقل عن المرتب الذي يتقاضاه أثناء شهرين كاملين.

وكتب إلى الجامعة يستعينها على شراء هذه الكتب. فأبت عليه وكانت الجامعة شديدة البخل على طلابها تكرهها ظروفها المالية على ذلك كرهاً. فهي لم تكن تعينهم على ما يعرض لهم من المرض، ولا على ما يحتاجون إليه من الكتب، وإنما كانت تعطيهم مرتباتهم وأجور ما يحتاجون إليه من الدروس الخاصة إذا تبينت أن ليس لهم من هذه الدروس بد. ثم تخلي بينهم وبين حياتهم يصنعون بها ما يريدون أو تصنع هي بهم ما تريد. وعلى الطلاب مع ذلك أن يثبتوا جدهم في الدرس وتقدمهم فيه. فإن ثبت لها تقصير أو قصور فليس بد للطالب من أن يعود إلى مصر ويوفر ما تنفقه الجامعة عليه من المال.

... وكذلك أخذ يتهيأ لهذا الموضوع الخطير، وأي شيء أخطر بالقياس إلى مصري مثله لم يعرف اللاتينية إلا بآخره، ولم يسمع في مصر إلا دروس الأزهر في علومه الموروثة ودروس الجامعة التي ليس بينها وبين تاريخ اليونان والرومان صلة. أي شيء أخطر بالقياس إلى مصري مثله من العكوف على هذا المؤرخ الروماني العظيم العسير يقرأه ويحصي ما فيه من أخبار هذه القضايا، ثم يفهم هذه القضايا من نواحيها القانونية الخالصة. ثم يعرضها بعد ذلك عرضاً واضحاً مستقيماً؟ لقد أحس في نفسه شيئاً من الندم على أنه لم يختر لرسالته موضوعاً في التاريخ العربي الذي يحسنه والذي لا يكلفه قراءة في اللاتينية ولا فيما يشبه اللاتينية، ولكنه قد ورط نفسه في هذا الموضوع وليس له بد من أن ينفذ من مشكلاته، مهما يكلفه ذلك من جهد أو عناء.

وأنه لما بدأ في قراءته العسيرة، إذا حدث يحدث ذات ليلة فيقطع هذه القراءة فجأة ويضطره إلى أن يترك باريس ويفر بنفسه وبزوجه إلى جنوب فرنسا، طلباً للأمن واجتناباً للخطر. كان ذلك حين انتصفت ليلة من ليالي فبراير أو كادت تنتصف. وكان كل شيء هادئاً من حول صاحبنا، وكان قد انصرف عن القراءة وأوى إلى مضجعه وأخذ النوم يسعى إليه أو أخذ هو يسعى إلى النوم، ولكن النذير بالغارة الجوية يوقظ أهل البيت جميعاً، وصاحبنا شجاع لا يحفل بالغارة ولا يريد أن يظهر أهل البيت منه على ذعر أو شيء من الذعر. فهو يأبى أن ينهض من مضجعه ساخراً من الغارة والمغيرين. وما أكثر ما سمع من أهل باريس هذا النذير وما أكثر ما اهتم له المهتمون وسخر منه الساخرون وانجلت غمرته عن باريس دون أن تلقى منه كيداً، فما يمنع هذه الغارة أن تكون كغيرها من سابقاتها؟ وصاحبنا معتد بنفسه معتز بشجاعته يرى أهل البيت من حوله يتهيأون للهبوط من

طابقهـم السادس ليأووا إلى مخبئهم ذاك، وهـو ثابت في مضجعه لا يريم، ولكنـه يسمع فجأة صوتاً مروعاً، وينظر فإذا هو يهبط مع الهابطين مسرعاً لا يحفـل بمـا يمكن أن يلقاه في مجلسه من المخبأ بين اللاجئين إليه من أهل الحي، ولكن ماذا يصنع وقد كانت الغريزة أقوى من عقله وإرادته جميعاً؟ وتنجلـي الغمرة ويأوي الناس إلى مضاجعهم فإذا أصبحوا رأوا شراً عظيماً، فقد سقطت القنابل في الحـي اللاتيني نفسه، ودمرت أبنية قريبة من الدار التـي كان يسكنها صاحبنا، وهو يحس هذا التدمـير في طريقه مصبحاً إلى السوربـون ويسمع من أنبائه الشيء الكثير. ولم يخطر له أن في هذا الحادث ما يضطره إلى ترك باريس والهجرة إلى الجنوب. ولكن ظروف زوجه تفرض عليـه ذلك بأمر الطبيب. فيهاجر معها إلـى مونبلييه مقدرين أن يقيما فيها إلى أن يصل الطفل الذي كانا ينتظرانه ثم يعودان بعد ذلك إلى باريس.

... وكان ينظر فيرى نفسه مسؤولاً عن أسرة فيها صبيان بريئان لم يخاصما السلطـان ولم يثـيرا غضبه وعن زوج بريئـة لا شأن لها بمـا كان يحدث في مصـر من الأحداث، ويرى نفسه مـع ذلك قد اضطر إلى شيء يشبه العجز عن رعاية هـذه الأسرة والقيام بحقها عليه في تلك الأيام. كان يذكر رغبته في درس القانـون وكان يقدر أنـه لو فعل لاستطـاع أن يتجنـب التبطل وأن يعصـم هـذه الأسرة مما كانـت تتعرض له من البؤس والضيق. ولكن هذا حديث لم يأت وقته بعد.

أقبـل الفتى إذن على درسه وأقبـل في الوقت نفسه على درس اللغة اليونانية وشاركتـه زوجه في هذا الدرس، فكانت حياتهما في مونبلييـه راضية حقاً، فيها نعيم العقل بهذا الإمعان في الدرس والأخذ في كل يوم بسبب جديد من أسباب المعرفة، وفيها نعيم الأمل بانتظار هذا الطفل الذي كان يسعى إلى

الحياة في أناة ورفق. وفيها نعيم الرضى بالقليل والقناعة بالرزق الذي مهما يكن مقتراً فيه فقد كان يقيم الأود ويعصم من الحاجة ويرضي الزوجين عن نفسهما لأنهما يحسنان التدبير والاحتمال. وكان ربما تعرضا لبعض الهم حين يوشك الشهر أن ينقضي ويوشك ما بين أيديهما من المال أن ينفد فيثبتان لذلك في صرامة لا تعرف اللين وشدة لا تعرف الدعة حتى تنجلي عنهما الغمرة ويعود إليهما اليسير العسير مع أول الشهر إن جاز أن يوصف اليسير بأنه عسير.

... وفي يوم من أيام شهر يونيو أقبلت أمينة مع الصبح، واختلط صياحها بغناء الطير المستيقظة. فكان لهذه الموسيقى الحلوة موقع أي موقع في قلب الزوجين أنساهما أو سلاهما عما وجدا في ليلتهما من روع وما تعرضا له من هول.

ولم تجد أمينة أبويها حزينين ولا مهتمين ولا مضيقاً عليهما في استقبال زائرهما العزيز. فقد أتاح لهما ابن خلدون رحمه الله تعالى من السعة ما مكنهما من أن يلقيا ابنتهما كأحسن ما يكون اللقاء.

وانقضى الصيف ثقيلاً طويلاً يضطرب فيه الزوجان بين السعة في أول الشهر والضيق في آخره، ولكنهما يستعينان على السعة والضيق جميعاً بتنشيء أمينة من جهة والجد في إعداد الرسالة ودرس اليونانية من جهة أخرى. ولم يقبل شهر سبتمبر حتى عاد الزوجان ومعهما جوهرتهما إلى باريس.

... وفي أثناء هذا كله تضع الحرب أوزارها وتعلن الهدنة، ويبتهج الفرنسيون ونزلاء فرنسا بمقدم السلم. ولا يكاد صاحبنا يمضي فيما عاد إليه من الدرس بعد تلك المحنة في صديقه الكريم عليه الأثير عنده حتى تأتي الأنباء من مصر فتصرفه مرة أخرى عن رسالته وإعدادها صرفاً عنيفاً. ولكن لم يكن حزيناً ولا مروعاً، وإنما كان سعيداً يملأ القلب غبطة والضمير رضى

والنفس ثقة وإعجاباً. فقد جاءت الأنباء من مصر تطلب استقلالها إلى المحتلين المنتصرين.

ثم جاءت الأخبار بأن مصر تلقى من المحتلين عنتاً أي عنت وجحوداً أي جحود، وبأن بعض المصريين قد أخرجوا عنوة من وطنهم واتخذوا رهائن في مالطة، وبأن مصر قد غضبت لأبنائها وثارت بأعدائها.

فتقع هذه الأنباء كلها من قلب الفتى ومن قلوب زملائه الطلاب المصريين موقع الماء من ذي الغلة الصادي. ليس الأوروبيون وحدهم إذن هم الذين يثورون غضباً للكرامة الوطنية وطموحاً إلى استقلال الوطن. بل إن مصر الإفريقية تثور هي أيضاً كما ثار الإنجليز والفرنسيون والأمريكيون وأمم غربية أخرى.

ما أوسع الآمال التي ملأت قلوب أولئك الطلاب الغرباء وما أعظم الكبرياء التي ملأت نفوسهم. وما أكثر ما أضاعوا من الوقت في أحاديث لا تنقضي عن هذا كله. وما أكثر ما أعرضوا عن الدروس ليفرغوا لحديث الثورة والثائرين.

... وما أكثر ما كان يسمع للقارئة وقد حمل أمينة بين ذراعيه ليتيح لزوجه أن تفرغ لما كان ينبغي أن تفرغ له من شؤون البيت. وما أكثر ما كان يملي فصول هذه الرسالة وصبيته بين ذراعيه يمشي بها في غرفته الضيقة مملياً وقارئته تسمع منه وتكتب عنه وربما طلبت إليه أن يريح نفسه من الإملاء ويريحها من الكتابة دقائق، وأخذت منه الصبية ومشت بها في الغرفة وغنت لها بعض ما يغنى للأطفال وأتاحت له بذلك أن يجلس ويستريح، وزوجه في أثناء هذا في مطبخها مقبلة على تهيئة الغداء أو العشاء.

الفصل الخامس عشر

العودة إلى مصر

... فلنعد إلى صاحبنا في باريس لنراه مقبلاً على حياته، غارقاً في مشكلتها مثقلاً بأعبائها. يعد رسالته ويختلف إلى دروسه ويلقى أستاذه ويحتمل ضروباً من الجهد في إجراء حياة أسرته على ما ينبغي أن تجري عليه من هذه السعة اليسيرة التي تقيم الأود ولا تعرض لليأس أو الشقاء.

وأقبل الصيف وقد قدم صاحبنا رسالته إلى السوربون فرضيت عنها، ولكنه لم يرسلها إلى الجامعة ولم تسأله الجامعة عنها، وإنما أقبل على امتحانه فنجح فيه نجاحاً حسناً وظفر بالدبلوم وأتم بذلك أداء واجبه الذي كلفته الجامعة أن يؤديه، وآن له أن يعود إلى مصر.

ولكن عودته إلى مصر أثارت بينه وبين المدير الإنجليزي للبعثة خلافاً طويلاً سخيفاً في وقت واحد. فقد كان نظام البعثة يقضي بأن يعود الطالب إلى مصر على نفقة الجامعة إن أتم دراسته على الخطة المرسومة له. ولكن صاحبنا لن يعود وحده، بل ستصحبه زوجه، فعلى نفقة من تعود هذه الزوج؟ هنا دار المدير الإنجليزي للبعثة. فكتب إلى الجامعة مستفتياً وأذنت له الجامعة في أن يعيد الزوجين جميعاً. ولكن الزوجين لن يستطيعا العودة إلا إذا عادت معهما أثقالهما، وكانت الكتب أهم هذه الأثقال. فهي أكثر وأضخم من أن توضع في الحقائب وكثير منها ملك للجامعة سيستقر في مكتبتها آخر الأمر، والانتقال من باريس إلى القاهرة لا يتم بمجرد أن يتسلم المسافر بطاقات السفر في القطار والسفينة، ولكنه يحتاج إلى فضل من النفقة، فمن يؤدي هذا الفضل من النفقة؟ وكذلك احتاج مدير البعثة أن يكتب إلى الجامعة مستفتياً مرة أخرى، ولا أدعى إلى السأم والضيق من الجدال الطويل المتصل حول الموضوع السخيف الذي لا خطر له ولا طائل فيه.

وكم ضاق الفتى بما كان يكتب وما كان يتلقى من الرسائل حول هذا السخف الـذي لا يغنـي عنه شيئاً، ولكنـه وصل م ع زوجه إلـى مارسيليا عشية اليوم الذي حدد لإبحار السفينة.

ولا يكادان يصلان إلى هذه المدينة حتى يعلما، ويا ثقل ما علما، أن سفينتهما لن تبحر مـن الغد، لأن إضراباً يحول بينها وبين الإبحار. واتصل الإضراب يومـاً ويوماً ويوماً ثم اتصل بعد ذلك حتى بلـغ خمسة وعشرين يوماً. وليس مـع صاحبنا وزوجه وطفلهما ما ينفقان، ولا أمـل في الاتصال بمدير البعثة ولا سبيـل للاتصال المباشر بالجامعـة. فليقترض إذن من زميله ذاك الذي سيعـود معه علـى السفينة نفسها والـذي ينتظر مثلـه أن ينقضي الإضراب والـذي لا يخلـو جيبه مـن مال كثـير لا لأنه كان غنيـاً، بل لأنـه كان مدبراً مقتصـداً أروع تدبير واقتصـاد. وقد أخذ يقترض وبـدأ الزوجان حياتهما المستقلة بالدين وأي دين.

ويبلغـان الإسكندريـة بعـد لأي وقد شق عليهمـا السفر، وعنـف بسفينتهما البحـر، ونفذ ما اقترضا من المال. فلا تـكاد السفينة ترسو حتى يقبل رسل المحافـظ الصديـق فيستخلصوا الأسـرة من الضيق والشـدة والحيرة إلى الدعـة والسعة والاطمئنان في ذلك البيت الرائق الجميل الذي كان المحافظ قد اتخذه في رمل الإسكندرية.

وفي هذا البيت تقيم الأسرة مع الصديق الكريم رحمه الله أسبوعاً تحب أن تمضي إلى القاهـرة، ولكنها تؤثر الإقامة في الإسكندرية وتشفق من شظف العيش الذي ينتظرها متى هبطت من القطـار. ومن لها بالقطار وصاحبنا لا يملـك أجـره ولا يجرؤ على أن يتحـدث إلى صديقه في ذلـك ولا يستطيع أن يكتـب إلـى أخيه في القاهرة لأن زوجه لا تكتـب العربية ولأن أخاه لا يقرأ الفرنسية.

... ويتجاوز النهار نصفه قليلاً ويبلغ القطار محطة القاهرة وينظر الزوجان فـإذا هما في غمرة مـن الأهل والصديق، ومنذ ذلك اليـوم اتصلت أسباب حياتهما الجديدة بأسباب مصر.

قائمة كتاب المجلة العربية

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
1	الإسلام والغرب حوار.. لا صراع	د. سعيد عطية أبوعالي	محرم 1418هـ/ مايو 1997م	240
2	إساءة معاملة الأطفال تلمس الأسباب والظروف	د. عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل	صفر 1418هـ/يونية1997م	241
3	أضرار الجوال بين الحقيقة والخيال	م. عبدالله بن حمد الكثيري	ربيع الأول 1418هـ/يوليو1997م	242
4	الأسلحة الكيميائية والجرثومية خطر في وجه الحضارة	د. عبدالعزيز بن علي الخضيري	ربيع الآخر 1418هـ/أغسطس1997م	243
5	من يشتري الضحك والفرح ؟!	عبد الله الجفري	جمادى الأولى 1418هـ/سبتمبر1997م	244
6	الملك عبدالعزيز ومراسلاته	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	جمادى الآخرة 1418هـ/اكتوبر1997م	245
7	دمج المعاقين مع الأطفال الأسوياء	د. فوزية أخضر	رجب 1418هـ / نوفمبر 1997م	246
8	المؤتمر العام السادس والمجلس التنفيذي الثامن عشر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة	عبد الرحمن محمد	شعبان 1418هـ/ديسمبر1997م	247
9	أيام العار	جون سوين/ ترجمها منصور الخريجي	رمضان 1418هـ/يناير 1998م	248
10	الإنترنت تقنيات وخدمات	د. عبدالقادر بن عبدالله الفنتوخ	شوال1418هـ/فبراير1998م	249
11	الأكل الوسطي وحكاية هرمين	د. عدنان سالم باجابر	ذوالقعدة 1418هـ/ مارس1998م	250
12	الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله	د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي	ذو الحجة1418هـ/ ابريل1998م	251
13	الماء ثروة الحاضر.. وأمل المستقبل	د. أحمد عبدالقادر المهندس	محرم 1419هـ/يونيو1998م	252
14	المتقاعدون ووقت الفراغ	عبد العزيز بن علي الغريب	صفر1419هـ/يونيو1998م	253
15	فاعلية الأغذية الوارد ذكرها في القران الكريم	د. رافده الحريري	ربيع الأول 1419هـ/يوليو1998م	254
16	القاعدة والاستثناء في الإعلام والسياسة	د.فؤاد بن عبدالسلام الفارسي	ربيع الآخر 1419هـ/أغسطس1998م	255
17	الكتابة للأطفال لماذا ... ماذا نكتب وكيف ؟	محمد سعيد المولوي	جمادى الأولى 1419هـ/ سبتمبر 1998م	256
18	مسؤولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية	د. ساعد العرابي الحارثي	جمادى الآخرة 1419هـ/اكتوبر1998م	257
19	الأيام الثقافية للجامعات السعودية في رحاب الجامعات المغربية	المجلة العربية	رجب 1419هـ/نوفمبر1998م	258
20	الفياجرا شاغلة العالم !	جلال محمد حمام	شعبان1419هـ/ديسمبر1998م	259
21	العمل الاجتماعي التطوعي في المملكة العربية السعودية	عبد الله العلي النعيم	رمضان1419هـ/يناير 1999م	260

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
22	قراءة في فكر الملك عبدالعزيز	بدر بن أحمد كريم	شوال 1419هـ/فبراير1999م	261
23	الجودة ومواصفة آيزو 9000	د. إبراهيم بن علي الخضير	ذو القعدة1419هـ/ مارس1999م	262
24	أرقامنا العربية الأصيلة	د. إبراهيم احمد مسلم الحارثي	ذوالحجة 1419هـ/ ابريل1999م	263
25	القلق (مرض العصر) كيف يعالجه القران ؟	د. زهير أحمد السباعي	محرم 1420هـ/مايو1999م	264
26	تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة	د. علي بن مرشد بن محمد المرشد	صفر1420هـ/يونيو1999م	265
27	الشيخ ابن باز (يبكيك محراب يئن ومنبر)	المجلة العربية	ربيع الأول1420هـ/يوليو1999م	266
28	الإمارة وتنمية السياحة	الأمير خالد الفيصل	ربيع الآخر 1420هـ/ أغسطس999م	267
29	في تأهيل الأدب الإسلامي نحو رواية إسلامية	د. حلمي محمد القاعود	جمادى الأولى1420هـ/سبتمبر1999م	268
30	الأدب المقارن في ضوء الرؤية العربية والإسلامية	محمود رداوي	جمادى الآخرة1420هـ/اكتوبر1999م	269
31	منظمة التجارة العالمية واستحقاقات العضوية	أ . أسامة بن جعفر فقيه	رجب 1420هـ/نوفمبر 1999م	270
32	مجلس التعاون الخليجي رؤية متابع	أحمد محمد سالم	شعبان1420هـ/ديسمبر1999م	271
33	الإسلام والغرب والدور السعودي في إقامة حوار بنّاء بينهما	د. عبدالعزيز بن إبراهيم السويل	رمضان1420هـ/يناير2000م	272
34	الترويح دوافعه- آثاره – ضوابطه	عبد الله بن ناصر السدحان	شوال1420هـ/فبراير 2000م	273
35	أمراض القلب والوقاية منها	أ.د. منصور محمد النزهة	ذوالقعدة1420هـ/فبراير2000م	274
36	العالم الإسلامي	محمد بن ناصر العبودي	ذو الحجة1420هـ/ ابريل2000م	275
37	ضياع الهوية في الفضائيات العربية	د. عائض الردادي	محرم1421هـ/مايو2000م	276
38	البلاستيك وصحة الإنسان	د. محيي الدين عمر لبنية	صفر1421هـ/مايو2000م	277
39	منهج التربية الإسلامية في ملء أوقات الفراغ	د. عثمان سيد أحمد خليل	ربيع الأول1421هـ/يونيو2000م	278
40	المرأة كيف عاملها الإسلام	الشيخ/حسن بن عبدالله آل الشيخ	ربيع الآخر1421هـ/يوليو2000م	279
41	الفكاهة في أدب الشيخ علي الطنطاوي	أحمد علي آل مريع	جمادى الأولى1421هـ/أغسطس2000م	280
42	مشكلة المياه وآفاق مستقبلها في المملكة العربية السعودية	أ.د. خالد بن عبدالرحمن الحمودي	جمادى الآخرة1421هـ/سبتمبر2000م	281
43	حقوق الإنسان في الإسلام	الشيخ/صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ	رجب1421هـ/اكتوبر2000م	282

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
44	الجاسر علاّمة وعلامة	د. عبدالله مناع	شعبان1421هـ/نوفمبر2000م	283
45	المردود الإيجابي للتفاعل التعليمي بين المعلم وطلابه	عبدالله بن مراد العطرجي	رمضان1421هـ/ديسمبر2000م	284
46	تجربة اليونسكو: دروس الفشل	د. غازي القصيبي	شوال1421هـ/يناير2001م	285
47	الفصيح مما أضاعه المشارقة وحفظه المغاربة	حماد بن حامد السالمي	ذوالقعدة1421هـ/فبراير2001م	286
48	صفحات من حياة الفقيد العلم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين	أ.د.عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار	ذوالحجة1421هـ/مارس2001م	287
49	الصناعة السعودية عام 1430هـ(2010م) رؤية مستقبلية	م. عبدالله بن يحيى المعلمي	محرم1422هـ/أبريل2001م	288
50	مشكلة العنوسة الأسباب والعلاج	رفعت محمد طاحون	صفر1422هـ/مايو2001م	289
51	الطب الشعبي حقائق وخرافات	د. حسام الدين أبو السعود	ربيع الأول1422هـ/يونيو2001م	290
52	العربية لغة الوحي .. والوحدة	محمد عبدالشافي القوصي	ربيع الآخر1422هـ/يوليو2001م	291
53	حقيقة النوم وقفات وتأملات	يوسف محمد أبو عود	جمادى الأولى1422هـ/أغسطس2001م	292
54	دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع	د. علي بن مرشد المرشد	جمادى الآخرة1422هـ/سبتمبر2001م	293
55	مشكلات طفلك الصحية في عامه الأول وحلولها	د. محمد مصطفى السمري	رجب1422هـ/أكتوبر2001م	294
56	مفهوم العمل في الإسلام	حسين بن عبدالله بانبيله	شعبان1422هـ/نوفمبر2001م	295
57	الإسلام وأزمة الإنسان المعاصر	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	رمضان1422هـ/ديسمبر2001م	296
58	النظم العدلية الثلاثة (وزارة العدل)	أخرجه : عبدالقادر باقي زاده	شوال1422هـ/يناير2002م	297
59	الأديب عبدالكريم الجهيمان عطاء لا ينضب	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالقعدة1422هـ/فبراير2002م	298
60	الشخصية الإسلامية سمات وتحديات	طه محمد كسبه	ذوالحجة1422هـ/مارس2002م	299
61	الشعر والأخلاق في تراث العرب النقدي	د. جعفر حسن الشكرجي	محرم1423هـ/أبريل2002م	300
62	الشورى في النظام الإسلامي ومقارنتها بالنظم الأخرى	الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير	صفر1423هـ/يونيو2002م	301
63	من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب	د. حسن عزوزي	ربيع الأول1423هـ/يونيو2002م	302
64	مقاييس الجمال في تجربة العميان الشعرية	د. عبدالله بن أحمد الفيفي	ربيع الآخر1423هـ/يوليو2002م	303
65	تعليم اللغة الانجليزية في المملكة العربية السعودية	جاسم بن أحمد الجاسم	جمادى الأولى1423هـ/أغسطس2002م	304

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
66	اصطخاب المفردات كلام يدخل في التخاطب لا الخطب !!	أحمد بن عبدالرحمن العرفج	جمادى الآخرة1423هـ/سبتمبر2002م	305
67	الطب النبوي بين الإبداع الصحي والطب الوقائي	حسين محي الدين سباهي	رجب 1423هـ/أكتوبر2002م	306
68	العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين	د. عبدالعزيز بن علي المقوشي	شعبان 1423هـ/نوفمبر2002م	307
69	من وسائل وأساليب التربية النبوية	د. صالح بن علي أبوعراد	رمضان1423هـ/نوفمبر2002م	308
70	من حلل الشعراء وحيلهم الفنية	حجاب بن يحيى الحازمي	شوال1423هـ/يناير2003م	309
71	الحب بين الأدب والطب	د. غالب خلايلي	ذوالقعدة1423هـ/فبراير2003م	310
72	شبهات وأباطيل حول الطلاق والرد عليها	رفعت محمد مرسي طاحون	ذوالحجة1423هـ/فبراير2003م	311
73	وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية	أ.د.علي بن إبراهيم الحمد النملة	محرم1424هـ/مارس2003م	312
74	الأدب العربي في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين	د. حسن بن فهد الهويمل	صفر1424هـ/ابريل2003م	313
75	الغذاء ودوره في تنمية الذكاء	د. نبيل سليم علي	ربيع الأول1424هـ/مايو2003م	314
76	الأديب محمد بن أحمد العقيلي لمحات من سيرته	مجاهد باعشن	ربيع الآخر1424هـ/يونيو2003م	315
77	جذور الحملة الإعلامية على الإسلام والسعودية وصراع الهويات	د. فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1424هـ/يوليو2003م	316
78	أفكار في شعر الإمام الشافعي	عبدالله الجعيثن	جمادى الآخرة1424هـ/ أغسطس2003م	317
79	أهم أحداث المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها عام 1319هـ حتى 1424هـ	مساعد بن عبدالله الجنوبي	رجب1424هـ/سبتمبر2003م	318
80	أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر	علوي طه الصافي	شعبان1424هـ/أكتوبر203م	319
81	وقفات مع الأستاذ عبدالله القرعاوي في ذكرياته	عبدالعزيز بن عبدالله السالم	رمضان1424هـ/نوفمبر2003م	320
82	المنهج العلمي في القران الكريم	محمد فيض الله الغامدي	شوال1424هـ/ديسمبر2003م	321
83	هل ينقرض الدبلوماسيون في حقبة العولمة؟	د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ذوالقعدة1424هـ/يناير2004م	322
84	الحوار بين الثقافات والحضارات ضرورة	إبراهيم نويري	ذوالحجة1424هـ/يناير2004م	323
85	المرأة في الفتوحات الإسلامية	عبدالله بن ناصر الحديب	محرم1425هـ/فيراير2004م	324
86	الأستاذ شيخ النقاد عبدالله عبدالجبار وماذا بعد عنه ؟!	عبدالله بن عبدالرحمن الجفري	صفر1425هـ/أبريل2004م	325
87	حسن صيرفي قراءة في جغرافية إنسان	محمد الدبيسي	ربيع الأول1425هـ/مايو2004م	326

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
88	العبقرية وأسسها الأربعة	فهد بن عامر الأحمدي	ربيع الآخر1425هـ/يونيو2004م	327
89	الإدارة الإلكترونية وتطبقاتها أنموذج إداري جديد	د. محمد حسن مفتي	جمادى الأولى1425هـ/يوليو2004م	328
90	مواجهة الفقر المشكلة وجوانب المعالجة	أ.د. علي بن إبراهيم النملة	جمادى الآخرة1425هـ/ أغسطس2004م	329
91	مكامن الخلل في العملية التربوية	عبيد بن عبدالله السويهري	رجب1425هـ/سبتمبر2004م	330
92	التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1425هـ/أكتوبر2004م	331
93	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي	رمضان1425هـ/نوفمبر2004م	332
94	الإعجاز الطبي في القران والسنة والجديد في علم الطب	د. حسان شمسي باشا	شوال1425هـ/ديسمبر2004م	333
95	أهمية حماية الهواء وطبقة الأوزون من أخطار التلوث	د. محمود درويش	ذوالقعدة1425هـ/يناير2005م	334
96	العمل برؤية إيمانية	علي مدني الخطيب	ذوالحجة1425هـ/فبراير2005م	335
97	منهج الجدل وآداب الحوار في الفكر الإسلامي	أ.د. بركات محمد مراد	محرم1426هـ/فبراير2005م	336
98	الأسبرين حكاية بلا نهاية	د. محيى الدين عمر لبنيه	صفر1426هـ/مارس2005م	337
99	أحمد السباعي رائد الأدب والصحافة المكية	محمد عبدالرزاق القشعمي	ربيع الأول1426هـ/أبريل2005م	338
100	إطلالة على المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية	حسين محمد بافقيه	ربيع آخر1426هـ/مايو2005م	339
101	ذاكرة العراق التاريخية والحضارية	علوي طه الصافي	جمادى الأولى1426هـ/يونيو2005م	340
102	أم القرى خصوصية المكان والعمران	د.م. يحيى حسن وزيري	جمادى الآخرة1426هـ/يوليو2005م	341
103	الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي	عبدالعزيز بن سعد الدغيثر	رجب1426هـ/أغسطس2005م	342
104	الدور الأمني للمؤسسات التربوية والثقافية	أ. حجاب بن يحيى الحازمي	شعبان1426هـ/سبتمبر2005م	343
105	الضمانات الشرعية لحماية الأسرة في الإسلام	علي مدني رضوان الخطيب	رمضان1426هـ/أكتوبر2005م	344
106	الأدب الوجداني إبداع وفرسان	فوزي خياط	شوال1426هـ/نوفمبر2005م	345
107	الإدارة السوية وحمايتها من الضغوط الحياتية	أ.د. نبيل سليم علي	ذوالقعدة1426هـ/ديسمبر2005م	346
108	الحج :أحكام وأسرار قراءة تأملية في شعائر الحج ومناسكه	سالم بن عبدالله الشهري	ذوالحجة1426هـ/يناير2006م	347
109	جمع الجواهر في الملح والنوادر	د.عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	محرم1427هـ/فبراير2006م	348

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
110	مكة المكرمة أهمية الدور والمكان	د.عمر بن يحيى محمد	صفر1427هـ/مارس2006م	349
111	الإبداع والتحديث في فكر سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد 1329/1402هـ	د. صالح بن عبدالله بن حميد	ربيع الأول1427هـ/أبريل2006م	350
112	الزمان يزور المكان	د.غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ربيع الآخر1427هـ/مايو2006م	351
113	رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث	حسني سيد لبيب	جمادى الأولى1427هـ/يونيو2006م	352
114	مشاعر أب في رسائل حرّى	د، إبراهيم بن مبارك الجوير	جمادى الآخرة1427هـ/يوليو2006م	353
115	رؤية في الفساد والجريمة	سليمان بن محمد الجريش	رجب1427هـ/أغسطس2006م	354
116	الحكومة الإلكترونية دراسة للتجربة التقنية المعلوماتية في المملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1427هـ/سبتمبر2006م	355
117	آفاق المناجاة في شعر الدكتور سعد بن عطيه الغامدي	علي بن محمد العمير	رمضان1427هـ/أكتوبر2006م	356
118	الفقه الإسلامي أهميته والعناية بمصادره وأهله	د،عبدالله بن عبدالمحسن التركي	شوال1427هـ/نوفمبر2006م	357
119	المستشرقون بين الوفاء والافتراء	رفعت محمد طاحون	ذوالقعدة1427هـ/ديسمبر2006م	358
120	نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل	فاتح زيوان	ذوالحجة1427هـ/يناير2007م	359
121	المواقع الأثرية والتراث الثقافي بالمملكة العربية السعودية	ناصر بن محمد الحميدي	محرم1428هـ/فبراير2007م	360
122	الطائفية والتفكيك بعد سقوط بغداد	د . عايض الردادي	صفر1428هـ/مارس2007م	361
123	شنين الدموع	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	ربيع الأول1428هـ/أبريل2007م	362
124	وميض من قبس الإسلام	د. رافدة بنت عمر الحريري	ربيع الآخر1428هـ/مايو2007م	363
125	الثوابت والمتغيرات في المجتمع السعودي	الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود ابن عبدالعزيز آل سعود	جمادى الأولى1428هـ/يونيو2007م	364
126	هاملتون جيب وكتابة الاتجاهات الحديثة في الإسلام	زكي بن عبدالله الميلاد	جمادى الآخرة1428هـ/يوليو2007م	365
127	لمحات في التربية الإسلامية	بهاء الدين عبدالله الزهوري	رجب1428هـ/أغسطس2007م	366
128	موقع العقل في ظل التشريع	رغداء محمد زيدان	شعبان1428هـ/سبتمبر2007م	367
129	الإسلام بين العالمية والعولمة	د . خالد احمد حربي	رمضان1428هـ/أكتوبر2007م	368
130	مقدمة في الشعر الياباني	علاء الدين رمضان	شوال1428هـ/نوفمبر2007م	369
131	الترجمة رؤية في الواقع العربي	د. محمد بن عبدالله العبد اللطيف	ذوالقعدة1428هـ/ديسمبر2007م	370

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
132	من سجن الأسطورة إلى رحم التاريخ	د فاطمة الياس	ذوالحجة1428هـ/يناير2008م	371
133	مفهوم الشعر عند ابن سينا	علي العلوي	محرم1429هـ/يناير2008م	372
134	اغتراب الثقافة الكل عن المجتمع الكيان	د علي بن حمد الخشيبان	صفر1429هـ/فبراير2008م	373
135	الأغذية المعدلة وراثيا مالها وما عليها	د عبدالعزيز بن ابراهيم العثيمين	ربيع الأول1429هـ/مارس2008م	374
136	النحو في عصر العولمة	د. فالح بن شبيب العجمي	ربيع الآخر1429هـ/أبريل2008م	375
137	تقاليد الكرم عند العرب	محمد السموري	جمادى الأولى1429هـ/مايو2008م	376
138	الكنتية خطاب السيرة الذاتية	أحمد علي آل مريع	جمادى الآخرة1429هـ/يونيو2008م	377
139	من تراثنا الحديث في اللغة والفكر والحضارة	عبد الله العلايلي وآخرون	رجب1429هـ/يوليو 2008م	378
140	ثقافة التعليم الالكتروني	د.زكريا يحيى لال	شعبان1429هـ/أغسطس2008م	379
141	الصحافة المطبوعة في عصر الملتيميديا	د. عثمان بن محمود الصيني	رمضان1429هـ/سبتمبر2008م	380
142	التجربة الشعرية الجديدة في السعودية	د. عالي بن سرحان القرشي	شوال1429هـ/اكتوبر2008م	381
143	المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي / القافية نموذجا	فريد محمد أمعضشو	ذوالقعدة1429هـ/نوفمبر2008م	382
144	معركة الشعر المنثور في الصحافة السعودية قبل نصف قرن	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالحجة1429هـ/ديسمبر2008م	383
145	رواد الغناء في الجزيرة العربية من الشفوية إلى التسجيل	أحمد الواصل	محرم 1430هـ/يناير 2009م	384
146	قراءة في الظواهر التمثيلية العربية	سامي عبداللطيف الجمعان	صفر 1430هـ/فبراير 2009م	385
147	الأدب في البرازيل رؤية ومختارات	د . رشا احمد إسماعيل	ربيع الأول1430هـ/مارس2009م	386
148	أدب المدونات	شاكر لعيبي	ربيع الآخر1430هـ/أبريل2009م	387
149	الثقافة الأفقية وموت النخبة	د فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1430هـ/مايو2009م	388
150	رحلة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية	د.موسى أحمد الحالول	جمادى الآخرة1430هـ/يونيو2009م	389
151	مترجمو ألف ليلة وليلة	سيلفانا الخوري	رجب1430هـ/يوليو 2009م	390
152	رحلة الكتاب في الحضارة الإسلامية	محمد رجب السامرائي	شعبان1430هـ/أغسطس2009م	391
153	النسبية وما بعدها (ألبرت آينشتاين ،ستيفن ،مايكل)	د.عبدالله نعمان الحاج	رمضان1430هـ/سبتمبر2009م	392

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
154	مذكرات أبي القاسم الشابي	د. نور الدين صمود	شوال1430هـ/اكتوبر2009م	393
155	العولمة والأدب العربي المعاصر	د.أسامة محمد البحيري	ذوالقعدة1430هـ/نوفمبر2009م	394
156	مالك بن نبي في ذاكرة عبدالسلام الهراس	د . محمد البنعيادي	ذوالحجة1430هـ/ديسمبر2009م	395
157	رحلة إلى الحجاز	إبراهيم عبدالقادر المازني	محرم 1431هـ/يناير 2010م	396
158	قصائد أعجبتنا من غازي القصيبي	غازي بن عبدالرحمن القصيبي	صفر 1431هـ/فبراير 2010م	397
159	البيروقراطية وإدارة المعرفة	د عبدالله مسفر الوقداني	ربيع الأول1431هـ/مارس2010م	398
160	النص السردي الأندلسي مداخل لقراءة جديدة	إبراهيم الحجري	ربيع الآخر1431هـ/أبريل2010م	399
161	أوراق منير العجلاني	منير العجلاني	جمادى الأولى1431هـ/مايو2010م	400
162	الألعاب في النظرية الأدبية	فارغا سلطان ترجمة عثمان الجبالي	جمادى الآخرة1431هـ/يونيو2010م	401
163	عالم الكتابة القصصية للطفل	عبد الباقي يوسف	رجب1431هـ/يوليو 2010م	402
164	أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي	فاتح زيوان	شعبان1431هـ/أغسطس2010م	403
165	بدر الكبرى المدينة والغزوة	د. محمد عبده يماني	رمضان1431هـ/سبتمبر2010م	404
166	في الفكر الخلدوني	يوسف الحناشي	شوال1431هـ/اكتوبر2010م	405
167	ميغيل آسين بلاثيوس رائد الاستعراب الاسباني المعاصر	محمد عبدالرحمن القاضي	ذوالقعدة1431هـ/نوفمبر2010م	406
168	الشعر في المدينة المنورة بين القرنين 12-14هـ	د . عاصم حمدان	ذوالحجة1431هـ/ديسمبر2010م	407
169	الرواية العربية والفنون السمعية البصرية	د . حسن لشكر	محرم 1432هـ/يناير 2011م	408
170	بدايات تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية	محمد عبدالرحمن القشعمي	صفر 1432هـ/فبراير 2011م	409
171	التحيز العربي للنقد الغربي	د.علي حمادي صديقي	ربيع الأول1432هـ/فبراير2011م	410
172	اليد واللسان	عبدالله محمد الغذامي	ربيع الآخر1432هـ/أبريل2011م	411
173	علم الحوار الاسلامي	د خالد أحمد حربي	جمادى الأولى1432هـ/مايو2011م	412
174	الموسوعات الفردية	د علي ابراهيم النملة	جمادى الآخرة1432هـ/يونيو2011م	413
175	تاريخ الهايكو الياباني	ريو يوتسويا ترجمة سعيد بوكرامي	رجب1432هـ/يونيو2011م	414

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
176	أدب الرحلات النبيلة	محمد منصور	شعبان1432هـ/يونيو2011م	415
177	الحطاب الافتتاحي في القران الكريم	د عبدالملك أشهبون	رمضان1432هـ/أغسطس2011م	416
178	السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم	أحمد علي آل مريع	شوال1432هـ/سبتمبر2011م	417
179	الجاحظ في مرآة أبي حيان	ابراهيم صبري راشد	ذوالقعدة1432هـ/أكتوبرر2011م	418
180	الإسلام وحقوق الانسان	زكي الميلاد	ذوالحجة1432هـ/نوفمبر2011م	419
181	التراث العلمي العربي وقاماته	صلاح الشهاوي	محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م	420
182	حساسية الوائي وذائقة المتلقي	عبدالباقي يوسف	صفر1433هـ/يناير2012م	421
183	وفيات المثقفين 2011	المجلة العربية	ربيع الأول1433هـ/فبراير2012م	422
184	الإسهام الإسلامي في التجديد الفلسفي للقرن 12م	خواكين لومبا فوينتيس	ربيع الآخر1433هـ/مارس2012م	423
185	في ثياب الاعرابي الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية	فاضل الربيعي	جمادى الأولى1433هـ/ابريل2012م	424
186	شعر الجن في التراث العربي	د. عبدالله سليم الرشيد	جمادى الآخرة1433هـ/مايو2012م	425
187	رندة الإسلامية أمنع حصون الأندلس الجنوبية	محمد القاضي	رجب1433هـ/يونيو2012م	426
188	مديح الأسئلة الصعبة ألغاز العلم المحيرة	د. عبدالله الحاج	شعبان1433هـ/يوليو2012م	427
189	فرق العمل العلمية في الحضارة الاسلامية	د . خالد أحمد الحربي	رمضان1433هـ/أغسطس2012م	428
190	موجز تاريخ الأدب الأمريكي	كارثرين فان سباكرن	شوال1433هـ/سبتمبر2012م	429
191	المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد	د. بركات محمد مراد	ذوالقعدة1433هـ/أكتوبر2012م	430
192	السيرة لعبة الكتابة	خالد فؤاد طحطح	ذوالحجة1433هـ/أكتوبر 2012م	431
193	آراء إخوان الصفا وخلان الوفا إعجاب وعجب	د. رشيد الخيون	محرم 1434هـ/ديسمبر 2012م	432
194	كتابات السياب النثرية	د . حسن الغرفي	صفر1434هـ/يناير2013م	433
195	عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم	عباس محمود العقاد	ربيع الأول1434هـ/فبراير2013م	434
196	ابن رشد وشوق المعرفة	د . بنسالم حميش	ربيع الآخر1434هـ/مارس2013م	435
197	اللغة هوية ناطقة	د . عبدالله البريدي	جمادى الأولى1434هـ/ابريل2013م	436

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
198	شعر الموسوسين في العصر العباسي	د.عبدالمجيد الإسداوي	جمادى الآخرة1434هـ/مايو2013م	437
199	الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي	عبداللطيف الوراري	رجب1434هـ/يونيو2013م	438
200	أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب	د. عبدالهادي البياض	شعبان1434هـ/يوليو2013م	439
201	الاستشراق بين منحنيين النقد الجذري أو الإدانة	د. علي إبراهيم النملة	رمضان1434هـ/أغسطس2013م	440
202	سجع المنثور لأبي منصور الثعالبي(350-429هـ)	د. أسامة محمد البحيري	شوال1434هـ/سبتمبر2013م	441
203	العشاق الثلاثة	د. زكي مبارك (1892-1952)	ذوالقعدة1434هـ/سبتمبر2013م	442
204	أسس العلوم الحديثة في الحضارة الإسلامية	د . خالد حربي	ذو الحجة1434هـ/أكتوبر2013م	443
205	الفلسفة في فكر ابن تيمية جدل النص والتاريخ	د. أحمد محمد سالم	محرم1435هـ/نوفمبر 2013م	444
206	السينما والجذور	ترجمة خالد أقتمي	صفر1435هـ/ديسمبر2013م	445
207	الموروث الشعبي في السرد العربي	محمد عزيز العرفج	ربيع الأول1435هـ/يناير2014م	446
208	الطب والأدب علائق التاريخ والفن	د. عبدالله سليم الرشيد	ربيع الآخر1435هـ/فبراير2014م	447
209	أبو عمر أحمد بن حربون	د. عبدالله بن علي بن ثقفان	جمادى الأولى1435هـ/مارس2014م	448
210	المرجعية والمنهج دراسة نظرية تطبيقية	د. أحمد مرزاق	جمادى الآخرة1435هـ/أبريل2014م	449
211	اللغة الشاعرة	عباس محمود العقاد	رجب1435هـ/مايو2014م	450
212	ظاهرة التداخل الشعري في المصادر العربية	د. عبدالرزاق حويزي	شعبان1435هـ/يونيو2014م	451
213	رمضان ذاكرة الزمان والمكان	محمد رجب السامرائي	رمضان1435هـ/يوليو2014م	452
214	القدس الشريف في الاستشراق اليهودي	د محمد رضوان	شوال1435هـ/أغسطس 2014م	453
215	الإبداع والنبوغ	د محمد فتحي	ذوالقعدة1435هـ/سبتمبر2014م	454
216	الرحلة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج1)	أحمد محمود أبوزيد	ذو الحجة1435هـ/أكتوبر2014م	455
217	نصوص النقد الأدبي لدى حماد الراوية	د الحسين زروق	محرم 1436هـ/نوفمبر2014م	456
218	الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية	د أحمد فؤاد باشا	صفر 1436هـ/ديسمبر2014م	457
219	النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي	د محمد مريتي	ربيع الأول 1436هـ/يناير2015م	458

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
220	المناخ والمجتمع	د عبدالهادي البياض	ربيع الآخر 1436هـ/فبراير2015م	459
221	الفنون الأدائية والمستقبل نحو ذاكرة الغناء السعودي	أحمد الواصل	جمادى الأولى 1436هـ/مارس2015م	460
222	الإنسان القروسطي	إبراهيم الحجري	جمادى الآخرة 1436هـ/ابريل2015م	461
223	الاسْتِغْرَاب: المَنْهَجُ فِي فَهْمِنا الغَرْبِ	د. علي النملة	رجب 1436هـ/ مايو 2015م	462
224	فن الترسل العربي قديما وحديثا	عبدالقادر بنعبدالله / عبدالحميد أسقال	شعبان 1436هـ/يونيو 2015م	463
225	أبو الطيب المتنبي	عباس العقاد	رمضان 1436هـ/ يوليو 2015م	464
226	الخيال وشعريات المتخيل	د.محمد الديهاجي	شوال 1436هـ/ أغسطس 2015م	465
227	فن التأويل	ترجمة: محمد احمد عثمان	ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م	466
228	الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج2)	أحمد أبو زيد	ذو الحجة1436هـ/ أكتوبر 2015م	467
229	نظرات في الشعر العربي	أحمد بن سليمان اللهيب	محرم1437هـ/ نوفمبر 2015م	468
230	عدسة التاريخ	أسامة سليمان الفليّح	صفر 1437 هـ - ديسمبر 2015	469
231	مقاربات علمية للمقاصد الشرعية	د. أحمد فؤاد باشا	ربيع الأول 1437 هـ - ديسمبر 2015	470
232	وفيات 2015	هاني الحجي	ربيع الآخر 1437 هـ - يناير 2016	471
233	أحمد مشاري العدواني من الأزهر الشريف إلى ريادة التنوير	حمد عبدالمحسن الحمد	جمادى الأولى 1437 هـ - فبراير 2016	472
234	مساجلات نقدية في الثقافة العربية المعاصرة	محمد القاضي	جمادى الآخرة 1437 هـ - مارس 2016	473
235	الشيخ الرئيس أبوعلي ابن سينا (توثيق ببليوجرافي)	د. أمين سليمان سيدو	رجب 1437 هـ - أبريل 2016	474
236	لغات جنوب الجزيرة العربية	عبدالرزاق القوسي	شعبان 1437 هـ - مايو 2016	475
237	شهر لا مثيل له	علاء الدين حسن	رمضان 1437 هـ - يوليو 2016	476
238	الجذور التاريخية لأدب الأطفال عند العرب	د. محمود إسماعيل آل عمار	شوال 1437 هـ - يوليو 2016	477
239	الترجمة العربية من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة	د. حسن بحراوي	ذو القعدة 1437 هـ - أغسطس 2016	478
240	فن كتابة القصة المصورة (comics)	صفية خالد المزيني	ذو الحجة 1437 هـ - سبتمبر 2016	479
241	هكذا تكلم رجاء جارودي	نادية المديوني	محرم 1438 هـ - أكتوبر 2016 م	480

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
242	مقالات الرافعي المجهولة في اللغة والأدب	وليد عبدالماجد كساب	صفر 1438 هـ - نوفمبر 2016 م	481
243	الترجمة وتحريف الكلم	محمد خير محمود البقاعي	ربيع الأول 1438 هـ -ديسمبر 2016م	482
244	التعلم المنظم ذاتياً	إبراهيم بن عبدالله الحسينان	ربيع الآخر 1438هـ -يناير 2017م	483
245	حركة التأليف والنشر الأدبي في المملكة العربية السعودية	خالد بن أحمد اليوسف	جمادي الأولى 1438 هـ - فبراير 2017 م	484
246	طيءّ الجبلان: أجا وسلمى	د. فضل عمار العماري	جمادي الآخرة 1438 هـ مارس 2017 م	485
247	محمد بن الحسن الشيباني: الإمام العبقري	د. هشام بن عبدالملك بن دهيش	رجب 1438 هـ - أبريل 2017 م	486
248	منازل النص الأدبي: مقترح النص الشعري	د. إيهاب النجدي	شعبان 1438 هـ - أبريل 2017 م	487
249	مقالات الرافعي المجهولة (ج2)	وليد عبدالماجد كساب	رمضان 1438 هـ - يونيو 2017 م	488
250	السرقات الشعرية والتناص	إبراهيم بن سعد الحقيل	شوال 1438 هـ - يوليو 2017 م	489
251	وديع فلسطين حكايات دفتري القديم	صلاح حسن رشيد	ذو القعدة 1438 هـ - أغسطس 2017 م	490
252	الخط العربي	د. علي عفيفي علي غازي	ذو الحجة 1438 هـ - سبتمبر 2017 م	491
253	أميون شعراء فصحاء	د. أحمد بلحاج آية وارهام	محرم 1439 هـ أكتوبر 2017 م	492
254	أحمد ذكي باشا ومخطوطات الإسكوريال	د. رشيد العفاقي	صفر 1439 هـ نوفمبر 2017 م	493
255	خطاب الرحلة المغربية إلى الحجاز	د. الحسن الغشتول	ربيع الأول 1439 هـ - ديسمبر 2017 م	494
256	مصادر القانون الدولي العام	د. هشام بن عبدالملك بن دهيش	ربيع الآخر 1439 هـ - يناير 2018 م	495
257	مَجمعيّات أحمد حسن الزيات	صلاح حسن رشيد	جمادى الأولى 1439 هـ - فبراير 2018 م	496
258	السيرة الذاتية في التراث العربي	د. أسامة محمد البحيري	جمادى الآخرة 1439 هـ - مارس 2018 م	497
259	مسرح الطفل	عبدالعزيز بن عبدالرحمن السماعيل	رجب 1439 هـ - أبريل 2018 م	498
260	الحدث ووسائل الإعلام	خالد طحطح	شعبان 1439 هـ - مايو 2018 م	499
261	الزوجان العالمان	أحمد إبراهيم العلاونة	رمضان 1439 هـ - يونيو 2018 م	500
262	كتابات الرحالة مصدر تاريخي	د. علي عفيفي غازي	شوال 1439 هـ - يوليو 2018 م	501
263	تحت الرماد	وليد عبدالماجد كساب	ذو القعدة 1439 هـ - أغسطس 2018 م	502

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
264	الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة	أحمد أبو زيد	ذو الحجة 1439 هـ - سبتمبر 2018 م	503
265	الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين	د. السيد الشوربجي	محرم 1440 هـ - أكتوبر 2018 م	504
266	الكتابات القديمة في المملكة العربية السعودية	د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب	صفر 1440 هـ - نوفمبر 2018 م	505

تنبني هذه المذكرات على رسم صورة عن شخصية طه حسين في أدق لحظاتها الحياتية. فمن التكوين إلى الكتابة، التعليم والأستاذية في الجامعة فالوزارة، مروراً بـ(طه) المغني، العاشق والشاعر.

في هذه المنتخبات، نقصد إلى:

- التعريف بأدب المذكرات كجنس أدبي قائم الذات في الثقافة العربية.

- الإلمام بجوانب من حياة العميد قل أن تحقق الحديث عنها.

- تقديم نصوص نثرية صيغت وفق لغة عربية تجلو بلاغة هذه اللغة، ومدى قوتها في / وعلى الإيصال والتأثير.